عقائد الامامية

تأليف

العلامة الشيخ محمّد رضا المظفر

سلسلة الكتب العقائدية (١٣٣)

إعداد

مركز الأبحاث العقائدية

ص:1

فهرس المطالب

- مقدمة المركز
- مقدمة الطبعة الثانية
- تصدير
- ١ ـ عقيدتنا فى النظر والمعرفة
- ٢ ـ عقيدتنا فى التقليد بالفروع
- ٣ ـ عقيدتنا فى الاجتهاد
- ۴ ـ عقيدتنا فى المجتهد
- «الفصل الاول: الالهيات»
- ۵ ـ عقيدتنا فى الله تعالى
- ۶ ـ عقيدتنا فى التوحيد
- ٧ ـ عقيدتنا فى صفاته تعالى
- ٨ ـ عقيدتنا بالعدل
- ٩ ـ عقيدتنا فى التكليف
- ١٠ ـ عقيدتنا فى القضاء والقدر
- ١١ ـ عقيدتنا فى البداء
- ١٢ ـ عقيدتنا فى أحكام الدين

ص:2

- «الفصل الثانى: النبوة»
- ١٣ ـ عقيدتنا فى النبوة
- ١۴ ـ النبوة لطف
- ١۵ ـ عقيدتنا فى معجزة الانبياء
- ١۶ ـ عقيدتنا فى عصمة الانبياء
- ١٧ ـ عقيدتنا فى صفات النبى
- ١٨ ـ عقيدتنا فى الانبياء وكتبهم
- ١٩ ـ عقيدتنا فى الاسلام
- ٢٠ ـ عقيدتنا فى مشرع الاسلام
- ٢١ ـ عقيدتنا فى القرآن الكريم
- ٢٢ ـ طريقة اثبات الاسلام والشرائع السابقة
- «الفصل الثالث: الامامة»
- ٢٣ ـ عقيدتنا فى الامامة
- ٢۴ ـ عقيدتنا فى عصمة الامام
- ٢۵ ـ عقيدتنا فى صفات الامامة وعلمه

- ٢٦ ـ عقيدتنا فى طاعة الائمة
- ٢٧ ـ عقيدتنا فى حبّ آل البيت
- ٢٨ ـ عقيدتنا فى الائمة
- ٢٩ ـ عقيدتنا فى أنّ الامامة بالنصّ
- ٣٠ ـ عقيدتنا فى عدد الائمة
- ٣١ ـ عقيدتنا فى المهدى
- ٣٢ ـ عقيدتنا فى الرجعة
- ٣٣ ـ عقيدتنا فى التقية
- «الفصل الرابع: ما أدب به آل البيت شيعتهم»

ص:3

- تمهيد
- ٣٤ ـ عقيدتنا فى الدعاء
- ٣٥ ـ أدعية الصحيفة السجادية
- ٣٦ ـ عقيدتنا فى زيارة القبور
- من آدابها
- ٣٧ ـ عقيدتنا فى معنى التشيّع عند آل البيت
- ٣٨ ـ عقيدتنا فى الجور والظلم
- ٣٩ ـ عقيدتنا فى التعاون مع الظالمين
- ٤٠ ـ عقيدتنا فى الوظيفة فى الدولة الظالمة
- ٤١ ـ عقيدتنا فى الدعوة إلى الوحدة الاسلامية
- ٤٢ ـ عقيدتنا فى حق المسلم على المسلم
- «الفصل الخامس»
- ٤٣ ـ عقيدتنا فى البعث والمعاد
- ٤٤ ـ عقيدتنا فى المعاد الجسمانى
- «التعريف بمركز الابحاث العقائدية»
- تأسيس المركز
- الموقع على الانترنت
- المستبصرون
- ردّ الشبهات
- الموسوعة العقائدية
- الشيعة فى العالم
- الندوات العقائدية
- متابعة القنوات الفضائية
- المكتبة العقائدية

- إرسال الكتب
- الاعمال القادمة للمركز

ص:4

مقدّمة المركز

إيماناً من المركز بأهمية الكتاب فى حياة كل فرد مسلم، وما يقوم به الكتاب من دور فعال فى التنمية الثقافية للفرد والمجتمع.

عمد إلى فتح قسم «اشترک وستحصل على كتب مجانية» وبصورة مدروسة، حيث يملى من يرغب بالاشتراک قسيمة الاشتراک المجانية الموجودة فى موقع المركز على الانترنت، فيرسل لكل مشترک كتاب مع طلب كتابة نبذة عن الكتاب وموضوعه، وعند الاجابة يرسل له الكتاب الاخر، وهكذا.

وخلال سنة واحدة من فتح هذا القسم لاقى هذا المشروع استقبالاً هائلاً، وذلک باشتراک أكثر من (٥٠٠٠) مشترک من (٩٢) دولة.

هذا، بالاضافة إلى أن قسم إرسال الكتب فى المركز يرسل أهم الكتب إلى المستبصرين فى العالم والنشطين فى التبليغ.

ومجموع ماأرسله المركز من الكتب يتجاوز الـ(٤٠٠٠٠)

ص:10

كتاب وبشتى اللغات.

وهذه السلسلة «سلسلة الكتب الاهدائية ـ قسم المشتركين» التى نقدّم الكتاب الاوّل منها تنصبّ فى هذا المجال، حيث انتقينا أهمّ الكتب العقائدية المختصرة لطباعتها على شكل سلسلة مخصّصة للارسال، وذلک لان عالمنا اليوم عالم الاتصالات الذى يستدعى إيصال المعلومات الدقيقة والمختصرة التى توصل الفكرة إلى القارئ بأسرع وقت ممكن.

فارس الحسون

مركز الابحاث العقائدية

ص:11

مقدمة الطبعة الثانية

مضى على صدور هذا «الكتيب» عشر سنوات، ولم أجد فى هذه الاعوام ما يدعونى إلى تبديل رأيى فيه من أنّه جاء وفق متطلّبات الحاجة العامة من توضيح معتقدات الشيعة الامامية وتثبيتها.

بل وجدت ما يشجّعنى على الموافقة على إعادة نشره مرّة أخرى، آملاً أن يكون قد أصاب الهدف وأدّى الغرض من محاولة رفع الغيوم المتلبدة التى حجبت طويلاً بين الطائفتين الاسلاميتين الكبيرتين: أهل السنة والشيعة، ومن محاولة نفض الغبار عمّا خلّفه الماضى السحيق على العقائد الاسلامية الصحيحة.

وإنّى لواثق بأنّ فكرة التقريب بين المذاهب أصبحت اليوم حاجة ملحّة، وهدفاً رفيعاً لكلّ مسلم غيور على الاسلام، مهما كانت نزعته المذهبية ورأيه فى المخلّفات العقائدية، وليس شىء أفضل فى التقريب من تولّى أهل كل عقيدة أنفسهم كشف دفائنها وحقائقها.

وهذه الطريقة ـ فيما أعتقد ـ أسلم فى إعطاء الفكرة الصحيحة

ص:12

عن المذهب، وأقرب إلى فهم الصواب من الرأى الذى يعتنقه جماعته.

وإجابة لرغبة قرة عينى العامل فى سبيل الله الفاضل السيد مرتضى الكشميرى، فقد أعدت النظر فى هذه الرسالة، وأدخلت عليها بعض التنقيحات والاضافات التى سمح بها الوقت المزدحم بالمشاكل، مع تصحيح ما وقع فى الطبعة الاولى من هفوات مطبعية وغير مطبعية، لاقدّمها مرّة أخرى إلى المطبعة، راجياً من الله تعالى أن يحقّق فيها الغرض المرجو، وأن يوفقنا لالتماس سبيل الصواب وإصابة الحق، إنّه خير مسؤول.

المـؤلّف
٢١ / شوال / سنة ١٣٨٠

ص:13

تصـدير

حمداً لله وشكراً، وصلاة وسلاماً على محمّد خير البشر وآله الهداة.

أمليت هذه المعتقدات، وما كان القصد منها إلاّ تسجيل خلاصة ما توصّلت إليه من فهم المعتقدات الاسلامية على طريقة آل البيت (عليهم السلام).

وقد سجلت هذه الخلاصات مجرّدة عن الدليل والبرهان، ومجردة عن النصوص الواردة عن الائمة فيها على الاكثر، لينتفع بها المبتدئ والمتعلّم والعالم، وأسميتها «عقائد الشيعة» وغرضى من الشيعة الامامية الاثنى عشرية خاصة.

وكان إملاؤها سنة ١٣٦٣ هـ بدافع إلقائها محاضرات دورية فى كلية منتدى النشر الدينية، للاستفادة منها تمهيداً للابحاث الكلامية العالية.

وفى حينه قد توفقت لالقاء الكثير منها، وما كنت يومئذ قد أعددتها مؤلّفاً ينشر ويقرأ، فأهملت فى أوراق مبعثرة شأن كثير من

ص:14

المحاضرات والدروس التى أمليتها فى تلك الظروف، لاسيّما فيما يتعلّق بالعقائد وعلم الكلام.

غير أنّه فى هذا العام ـ وبعد مضى ثمانى سنوات عليها ـ رغّب إلىّ الفاضل النبيل محمّد كاظم الكتبى ـ رعاه الله تعالى ـ فى تجديد النظر فيها، وجمعها مؤلّفة فى رسالة مختصرة موصولة الحلقات، لغرض نشرها وتعميم الفائدة منها، ولتدرأ كثيراً من الطعون التى ألصقت بالامامية، ولا سيّما أنّ بعض كتّاب العصر فى مصر وغيرها لازالوا مستمرين يحملون بأقلامهم الحملات القاسية على الشيعة ومعتقداتها، جهلاً أو تجاهلاً بطريقة آل البيت فى مسالكهم الدينية، وبهذا قد جمعوا إلى ظلم الحق وإشاعة الجهل بين قرّاء كتبهم الدعوة إلى تفريق كلمة المسلمين، وإثارة الضغائن فى نفوسهم والاحقاد فى قلوبهم، بل تأليب بعضهم على بعض، ولا يجهل خبير مقدار الحاجة ـ اليوم خاصّة ـ إلى التقريب بين جماعات المسلمين المختلفة ودفن أحقادهم، إن لم نستطع أن نوحّد صفوفهم وجمعهم تحت راية واحدة.

أقول ذلك وإنى لشاعر ـ مع الاسف ـ أنّا لا نستطيع أن نصنع شيئاً بهذه المحاولات مع من جرّبنا من هؤلاء الكتّاب، كالدكتور أحمد

ص:15

أمين وأضرابه من دعاة التفرقة، فما زادهم توضيح معتقدات الامامية إلاّ عناداً، وتنبيههم على خطئهم إلاّ لجاجاً.

وما يهمّنا من هؤلاء وغير هؤلاء أن يستمرّوا على عنادهم مصرّين، لولا خشية أن ينخدع بهم المغفّلون، فتنطلى عليهم تلك التخرّصات، وتورّطهم تلك التهجّمات فى إثارة الاحقاد والحزازات.

ومهما كان الامر، فإنى فى تقديمى هذه الرسالة للنشر أملى أن يكون فيها ما ينفع الطالب للحق، فأكون قد ساهمت فى خدمة إسلامية نافعة، بل خدمة انسانية عامة، فوضعتها فى مقدمة وفصول، ومنه تعالى وحده أستمد التوفيق.

محمّد رضا المظفر
النجف الاشرف ـ العراق
٢٧ جمادى الاخرة ١٣٧٠ هـ

ص:16

ص:17

١ ـ عقيدتنا فى النظر والمعرفة

نعتقد: أن الله تعالى لمّا منحنا قوة التفكير ووهب لنا العقل، أمرنا أن نتفّكر فى خلقه وننظر بالتأمل فى آثار صنعه، ونتدبر فى حكمته واتقان تدبيره فى آياته فى الافاق وفى أنفسنا، قال تعالى: (سَنُرِيهِم آياتنَا فى الافاقِ وَفى أنفُسِهِم حتّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ)(١).

وقد ذم المقلّدين لابائهم بقوله تعالى: (قالُوا بَل نَتَّبِعُ ما ألفَينا عَليهِ آباءَنا أوَلَو كانَ آباؤهُم لايَعقِلُونَ شيئاً)(٢).

كما ذم من يتبع ظنونه ورجمه بالغيب فقال: (إن يَتَّبِعونَ إلاّ الظنَّ)(٣).

وفى الحقيقة انّ الذى نعتقده: إنّ عقولنا هى التى فرضت علينا النظر فى الخلق ومعرفة خالق الكون كما فرضت علينا النظر فى

---

(١) فصّلت: ٥٣.

(٢) البقرة: ١٧٠.

(٣) الانعام: ١١٦.

دعوى من يدّعى النبوة وفى معجزته، ولا يصح عندها تقليد الغير فى ذلك مهما كان ذلك الغير منزلة وخطراً.

وما جاء فى القرآن الكريم من الحث على التفكير واتّباع العلم والمعرفة فانما جاء مقرّراً لهذه الحرية الفطرية فى العقول التى تطابقت عليها آراء العقلاء، وجاء منبّهاً للنفوس على ما جبلت عليها من الاستعداد للمعرفة والتفكير، ومفتّحاً للاذهان وموجّهاً لها على ما تقتضيه طبيعة العقول.

فلا يصح ـ والحال هذه ـ أن يهمل الانسان نفسه فى الامور الاعتقادية، أو يتّكل على تقليد المربين، أو أى أشخاص آخرين، بل يجب عليه ـ بحسب الفطرة العقلية المؤيدة بالنصوص القرآنية ـ أن يفحص ويتأمّل وينظر ويتدبّر فى أصول اعتقاداته(١) المسماة بأصول الدين التى أهمّها: التوحيد، والنبوة والامامة، والمعاد.

---

(١) ليس كل ما ذكر فى هذه الرسالة هو من أصول الاعتقادات، فانّ كثيراً من الاعتقادات المذكورة ـ كالقضاء والقدر والرجعة وغيرهما ـ لا يجب فيها الاعتقاد ولا النظر، ويجور الرجوع فيها إلى الغير المعلوم صحة قوله،

كالانبياء والائمة، وكثير من الاعتقادات من هذا القبيل: كان اعتقادنا فيها مستنداً إلى ما هو المأثور عن ائمتنا عليهم السلام من صحيح الاثر القطعى «منه قدس سره».

ص:19

ومن قلّد آباءه أو نحوهم فى اعتقاد هذه الاصول فقد ارتكب شططاً، وزاغ عن الصراط المستقيم، ولا يكون معذوراً أبداً.

وبالاختصار عندنا هنا ادّعاءان:

الاول: وجوب النظر والمعرفة فى أصول العقائد، ولا يجوز تقليد الغير فيها.

الثانى: إنّ هذا وجوب عقلى قبل أن يكون وجوباً شرعياً، أى لا يستقى علمه من النصوص الدينية، وإن كان يصح أن يكون مؤيّداً بها بعد دلالة العقل.

وليس معنى الوجوب العقلى إلاّ إدراك العقل لضرورة المعرفة، ولزوم التفكير والاجتهاد فى أصول الاعتقادات.

٢ ـ عقيدتنا فى التقليد بالفروع

أمّا فروع الدين ـ وهى أحكام الشريعة المتعلّقة بالاعمال ـ فلا يجب فيها النظر والاجتهاد، بل يجب فيها ـ إذا لم تكن من الضروريات فى الدين الثابتة بالقطع، كوجوب الصلاة والصوم والزكاة ـ أحد أمور ثلاثة:

إمّا أن يجتهد وينظر فى أدلة الاحكام إذا كان أهلاً لذلك.

ص:20

وإمّا أن يحتاط فى أعماله إذا كان يسعه الاحتياط.

وإمّا أن يقلّد المجتهد الجامع للشرائط، بأن يكون من يقلّده: عاقلاً، عادلاً «صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لامر مولاه»(١).

فمن لم يكن مجتهداً ولا محتاطاً ثم لم يقلّد المجتهد الجامع للشرائط فجميع عباداته باطلة لا تقبل منه، وإن صلّى وصام وتعبّد طول عمره، إلاّ إذا وافق عمله رأى من يقلّده بعد ذلک، وقد اتفّق له أنّ عمله جاء بقصد القربة إلى الله تعالى.

٣ ـ عقيدتنا فى الاجتهاد

نعتقد: أنّ الاجتهاد فى الاحكام الفرعية واجب بالوجوب الكفائى على جميع المسلمين فى عصور غيبة الامام، بمعنى أنّه يجب على كلّ مسلم فى كلّ عصر، ولكن إذا نهض به من به الغنى والكفاية سقط عن باقى المسلمين، ويكتفون بمن تصدّى لتحصيله وحصل على رتبة الاجتهاد وهو جامع للشرائط، فيقلّدونه

---

(١) التفسير المنسوب للامام الحسن العسكرى (عليه السلام): ٣٠٠، الاحتجاج ٥١١/٢.

ويرجعون إليه فى فروع دينهم.

ففى كلّ عصر يجب أن ينظر المسلمون إلى أنفسهم، فإن وجدوا من بينهم من تبرّع بنفسه، وحصل على رتبة الاجتهاد ـ التى لا ينالها إلاّ ذوحظ عظيم ـ وكان جامعاً للشرائط التى تؤهّله للتقليد، اكتفوا به وقلّدوه، ورجعوا إليه فى معرفة أحكام دينهم.

وإن لم يجدوا من له هذه المنزلة وجب عليهم أن يحصّل كل واحد رتبة الاجتهاد، أو يهيّئوا من بينهم من يتفرّغ لنيل هذه المرتبة، حيث يتعذّر عليهم جميعاً السعى لهذا الامر أو يتعسّر.

ولا يجوز لهم أن يقلّدوا من مات من المجتهدين.

والاجتهاد هو: النظر فى الادلّة الشرعية لتحصيل معرفة الاحكام الفرعية التى جاء بها سيّد المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهى لاتتبدّل ولا تتغيّر بتغيّر الزمان والاحوال «حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة»(١).

والادلة الشرعية هى: الكتاب الكريم، والسنّة، والاجماع، والعقل، على التفصيل المذكور فى كتب أصول الفقه.

---

(١) الكافى ٥٨/١، المحاسن ٤٢٠/١.

وتحصيل رتبة الاجتهاد تحتاج إلى كثير من المعارف والعلوم التى لاتتهيّأ إلاّ لمن جد واجتهد، وفرّغ نفسه وبذل وسعه لتحصيلها.

٤ ـ عقيدتنا فى المجتهد

وعقيدتنا فى المجتهد الجامع للشرائط: إنّه نائب للامام (عليه السلام)فى حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق، له ما للامام فى الفصل فى القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الامام، والراد على الامام راد على الله تعالى، وهو على حدّ الشرک بالله، كما جاء فى الحديث عن صادق آل البيت (عليهم السلام) (١).

فليس المجتهد الجامع للشرائط مرجعاً فى الفتيا فقط، بل له الولاية العامة، فيرجع إليه فى الحكم والفصل والقضاء، وذلک من مختصّاته، لا يجوز لاحد أن يتولاّها دونه إلاّ بإذنه، كما لا تجوز إقامة الحدود والتعزيرات إلاّ بأمره وحكمه.

ويرجع إليه أيضاً فى الاموال التى هى من حقوق الامام ومختصّاته.

---

(١) الكافى ٥۴/١، الاحتجاج ٢۶٠/٢.

ص:23

وهذه المنزلة أو الرئاسة العامّة أعطاها الامام (عليه السلام) للمجتهد الجامع للشرائط، ليكون نائباً عنه فى حال الغيبة، ولذلک يسمّى «نائب الامام».

ص:24

ص:25

الفصل الاول
الالهيات

عقيدتنا فى:

الله تعالى

التوحيد

صفاته تعالى

العدل

التكليف

القضاء والقدر

البداء

أحكام الدين

ص:26

ص:27

٥ ـ عقيدتنا فى الله تعالى

نعتقد: أنّ الله تعالى واحد أحد ليس كمثله شيء، قديم لم يزل ولايزال، هو الاوّل والاخر، عليم، حكيم، عادل، حى، قادر، غنى، سميع، بصير.

ولا يوصف بما توصف به المخلوقات، فليس هو بجسم ولاصورة، وليس جوهراً ولا عرضاً، وليس له ثقل أو خفة، ولاحركة أو سكون، ولا مكان ولا زمان، ولا يشار إليه.

كما لا ندّله، ولا شبه، ولا ضدّ، ولا صاحبة له ولا ولد، ولا شريک، ولم يكن له كفواً أحد، لاتدركه الابصار وهو يدرک الابصار.

ومن قال بالتشبيه فى خلقه ـ بأن صوّر له وجهاً ويداً وعيناً، أو أنّه ينزل إلى السماء الدنيا، أو أنّه يظهر إلى أهل الجنة كالقمر، أو نحو ذلک ـ فانّه بمنزلة الكافر به، جاهل بحقيقة الخالق المنزّه عن النقص، بل كل ما ميّزناه بأوهامنا فى أدق معانيه فهو مخلوق

مصنوع مثلنا مردود إلينا، على حد تعبير الامام الباقر (عليه السلام) (١)، وما أجلّه من تعبير حكيم، وما أبعده من مرمى علمى دقيق.

وكذلک يلحق بالكافر من قال إنّه يتراءى لخلقه يوم القيامة، وإن نفى عنه التشبيه بالجسم لقلقة فى اللسان، فان أمثال هؤلاء المدّعين جمدوا على ظواهر الالفاظ فى القرآن الكريم أو الحديث، وأنكروا عقولهم وتركوها وراء ظهورهم، فلم يستطيعوا أن يتصرّفوا بالظواهر حسبما يقتضيه النظر والدليل وقواعد الاستعارة والمجاز.

٦ ـ عقيدتنا فى التوحيد

ونعتقد: بأنّه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات، فكما يجب توحيده فى الذات ونعتقد بأنّه واحد فى ذاته ووجوب وجوده، كذلک يجب ثانياً توحيده فى الصفات، وذلک بالاعتقاد بأنّ صفاته عين ذاته كما سيأتى بيان ذلک، وبالاعتقاد بأنه لا شبه له فى صفاته الذاتية، فهو فى العلم والقدرة لا نظير له، وفى الخلق والرزق

---

(١) بحار الانوار ٢٩٣/٦٩، المحجة البيضاء ٢١٩/١.

لا شريک له، وفى كلّ كمال لا ندَّله.

وكذلک يجب ثالثاً توحيده فى العبادة، فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه، وكذا إشراكه فى العبادة فى أىّ نوع من أنواع العبادة، واجبة أو غير واجبة، فى الصلاة وغيرها من العبادات.

ومن أشرک فی العبادة غیره فهو مشرک، کمن یرائی فی عبادته ویتقرّب إلی غیر الله تعالی، وحکمه حکم من یعبد الاصنام والاوثان، لافرق بینهما.

أمّا زیارة القبور وإقامة المآتم، فلیست هی من نوع التقرّب إلی غیر الله تعالی فی العبادة ـ کما توهّمه بعض من یرید الطعن فی طریقة الامامیة، غفلة عن حقیقة الحال فیها ـ بل هی من نوع التقرّب إلی الله تعالی بالاعمال الصالحة، کالتقرّب إلیه بعیادة المریض، وتشییع الجنائز، وزیارة الاخوان فی الدین، ومواساة الفقیر.

فإنّ عیادة المریض ـ مثلاً ـ فی نفسها عمل صالح یتقرّب به العبد إلی الله تعالی، ولیس هو تقرُّباً إلی المریض یوجب أن یجعل عمله عبادة لغیر الله تعالی أو الشرک فی عبادته، وکذلک باقی أمثال هذه الاعمال الصالحة التی منها: زیارة القبور، وإقامة المآتم، وتشییع الجنائز، وزیارة الاخوان.

أمّا کون زیارة القبور وإقامة المآتم من الاعمال الصالحة الشرعیة، فذلک یثبت فی علم الفقه، ولیس هنا موضع إثباته.

والغرض، إنّ إقامة هذه الاعمال لیست من نوع الشرک فی العبادة ـ کما یتوهمه البعض ـ ولیس المقصود منها عبادة الائمة، وإنّما المقصود منها إحیاء أمرهم، وتجدید ذکرهم، وتعظیم شعائر الله فیهم (وَمَن یُعظِّم شَعائِرَ اللهِ فَإنَّها مِن تَقوَی القُلوبِ) (۱).

فکلّ هذه أعمال صالحة ثبت من الشرع إستحبابها، فاذا جاء الانسان متقرّباً بها إلی الله تعالی طالباً مرضاته، استحقّ الثواب منه ونال جزاءه.

۷ ـ عقیدتنا فی صفاته تعالی

ونعتقد: أنّ من صفاته تعالی الثبوتیة الحقیقیة الکمالیة التی تسمی بصفات الجمال والکمال ـ کالعلم، والقدرة، والغنی، والارادة، والحیاة ـ هی کلّها عین ذاته، لیست هی صفات زائدة علیها، ولیس وجودها إلاّ وجود الذات، فقدرته من حیث الوجود

---

(١) الحج: ٣٢.

ص:31

حياته وحياته قدرته، بل هو قادر من حيث هوحى وحى من حيث هو قادر، لا إثنينيّة فى صفاته ووجودها، وهكذا الحال فى سائر صفاته الكماليّة.

نعم، هى مختلفة فى معانيها ومفاهيمها، لا فى حقائقها ووجوداتها، لانّه لو كانت مختلفة فى الوجود ـ وهى بحسب الفرض قديمة وواجبة كالذات ـ للزم تعدّد واجب الوجود، ولا نثلمت الوحدة الحقيقية، وهذا ما ينافى عقيدة التوحيد.

وأمّا الصفات الثبوتية الاضافية ـ كالخالقية، والرازقية، والتقدّم، والعلّية ـ فهى ترجع فى حقيقتها إلى صفة واحدة حقيقية، وهى القيّومية لمخلوقاته، وهى صفة واحدة تنتزع منها عدّة صفات باعتبار اختلاف الاثار والملاحظات.

وأمّا الصفات السلبية التى تسمّى بصفات الجلال، فهى ترجع جميعها إلى سلب واحد هو سلب الامكان عنه، فإنّ سلب الامكان لازمه ـ بل معناه ـ سلب الجسمية والصورة والحركة والسكون والثقل والخفّة وما إلى ذلک، بل سلب كل نقص.

ثمّ إنّ مرجع سلب الامكان فى الحقيقة إلى وجوب الوجود، ووجوب الوجود من الصفات الثبوتية الكمالية، فترجع الصفات

ص:32

الجلالية (السلبية) آخر الامر إلى الصفات الكمالية (الثبوتية)، والله تعالى واحد من جميع الجهات، لا تكثّر فى ذاته المقدّسة، ولاتركيب فى حقيقة الواحد الصمد.

ولا ينقضى العجب من قول من يذهب إلى رجوع الصفات الثبوتية إلى الصفات السلبية، لمّا عزّ عليه أن يفهم كيف أنّ صفاته عين ذاته، فتخيّل أنّ الصفات الثبوتية ترجع إلى السلب، ليطمئنّ إلى القول بوحدة الذات وعدم تكثّرها،

فوقع بما هو أسوأ، إذ جعل الذات التى هى عين الوجود ومحض الوجود والفاقدة لكلّ نقص وجهة إمكان، جعلها عين العدم ومحض السلب، أعاذنا الله من شطحات الاوهام وزلاّت الاقلام.

كما لا ينقضى العجب من قول من يذهب إلى أنّ صفلته الثبوتية زائدة على ذاته، فقال بتعدّد القدماء ووجود الشركاء لواجب الوجود، أو قال بتركيبه ـ تعالى عن ذلک ـ

قال مولانا أمير المؤمنين وسيّد الموحّدين (عليه السلام): «وكمالُ الاخلاص لهُ نفىُ الصِفاتِ عنهُ، لشهادة كلِّ صفة أنَّها غيرُ الموصوفِ، وشهادةِ كلِّ موصوف أنَّه غيرُ الصفةِ، فَمَن وَصَفَ الله سبحانه فَقد قرنَهُ، وَمَن قرنهُ فَقد ثنّاهُ، وَمَن ثنّاهُ فَقد جزّأهُ، وَمَن

ص:33

جزّأهُ فَقد جَهِلَهُ»(١).

٨ ـ عقيدتنا بالعدل

ونعتقد: أنّ من صفاته تعالى الثبوتية الكمالية أنّه عادل غير ظالم، فلا يجور فى قضائه، ولا يحيف فى حكمه، يثيب المطيعين، وله أن يجازى العاصين، ولا يكلّف عباده ما لايطيقون، ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقّون.

ونعتقد: أنّه سبحانه لا يترک الحسن عند عدم المزاحمة، ولايفعل القبيح، لانّه تعالى قادر على فعل الحسن وترک القبيح، مع فرض علمه بحسن الحسن وقبح القبيح، وغناه عن ترک الحسن وعن فعل القبيح، فلا الحسن يتضرّر بفعله حتى يحتاج إلى تركه، ولا القبيح يفتقر إليه حتى يفعله.

وهو مع كل ذلک حكيم، لابدّ أن يكون فعله مطابقاً للحكمة، وعلى حسب النظام الاكمل.

فلو كان يفعل الظلم والقبح ـ تعالى عن ذلک ـ فانّ الامر فى ذلک

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة الاولى، الاحتجاج ٤٧٣/٢.

ص:34

لا يخلو عن أربع صور:

١ ـ أن يكون جاهلاً بالامر، فلا يدرى أنّه قبيح.

٢ ـ أن يكون عالماً به، ولكنّه مجبور على فعله وعاجز عن تركه.

٣ ـ أن يكون عالماً به وغير مجبور عليه، ولكنه محتاج إلى فعله.

٤ ـ أن يكون عالماً به، وغير مجبور عليه ولا يحتاج إليه، فينحصر فى أن يكون فعله له تشهّياً وعبثاً ولهواً.

وكل هذه الصور محال على الله تعالى، وتستلزم النقص فيه، وهو محض الكمال، فيجب أن نحكم أنه منزَّه عن الظلم وفعل ما هو قبيح.

غير أن بعض المسلمين جوَّز عليه تعالى فعل القبيح ـ تقدَّست أسماؤه ـ فجوَّز أن يعاقب المطيعين، ويدخل الجنّة العاصين، بل الكافرين، وجوَّز أن يكلِّف العباد فوق طاقتهم وما لا يقدرون عليه، ومع ذلک يعاقبهم على تركه، وجوَّز أن يصدر منه الظلم والجور والكذب والخداع، وأن يفعل الفعل بلا حكمة وغرض ولا مصلحة

ص:35

وفائدة، بحجّة أنّه (لا يُسئَلُ عَمَّا يَفعَلُ وَهُم يُسئَلونَ)(١).

فَربُّ أمثال هؤلاء الذين صوَّروه على عقيدتهم الفاسدة: ظالم، جائر، سفيه، لاعب، كاذب، مخادع، يفعل القبيح، ويترک الحسن الجميل.

تعالى الله عن ذلک علوّاً كبيراً، وهذا ەو الكفر بعينه، وقد قال الله تعالى فى محكم كتابه: (وَمَا اللهُ يُريدُ ظُلماً للعِبَادِ)(٢).

وقال:(وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ)(٣).

وقال:(وَمَا خَلَقنَا السَّماوَاتِ والارضَ وَمَابَينَهُما)لاعِبينَ)(۴).

وقال:(وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ والانسَ إلاَّ لِيعبُدُونِ)(۵).

إلى غير ذلک من الايات الكريمة، سبحانک ما خلقت هذا باطلاً.

---

(۱) الانبياء: ۲۳.

(۲) المؤمن: ۳۱.

(۳) البقرة: ۲۰۵.

(۴) الدخان: ۳۸.

(۵) الذاريات: ۵۶.

۹ ـ عقيدتنا فى التكليف

نعتقد: أنّه تعالى لا يكلّف عباده إلاّ بعد إقامة الحجّة عليهم، ولايكلّفهم إلاّ ما يسعهم وما يقدرون عليه وما يطيقونه وما يعلمون، لانّه من الظلم تكليف العاجز والجاهل غير المقصّر فى التعليم.

أمّا الجاهل المقصِّر فى معرفة الاحكام والتكاليف فهو مسؤول عند الله تعالى، ومعاقب على تقصيره، إذ يجب على كلّ إنسان أن يتعلَّم ما يحتاج إليه من الاحكام الشرعية.

ونعتقد: أنّه تعالى لابدَّ أن يكلّف عباده، ويسنَّ لهم الشرائع، وما فيه صلاحهم وخيرهم، ليدلّهم على طرق الخير والسعادة الدائمة، ويرشدهم إلى ما فيه الصلاح، ويزجرهم عمّا فيه الفساد والضرر عليهم وسوء عاقبتهم، وإن علم أنّهم لا يطيعونه، لانّ ذلک لطف ورحمة بعباده، وهم يجهلون أكثر مصالحهم وطرقها فى الدنيا والاخرة، ويجهلون الكثير ممّا يعود عليهم بالضرر والخسران، والله تعالى هو الرحمن الرحيم بنفس ذاته، وهو من كماله المطلق الذى هو عين ذاته، ويستحيل أن ينفكّ عنه.

ولا يرفع هذا اللطف وهذه الرحمة أن يكون العباد متمرّدين

ص:37

على طاعته، غير مناقدين إلى أوامره ونواهيه.

١٠ ـ عقيدتنا فى القضاء والقدر

ذهب قوم ـ وهم المجبِّرة ـ إلى أنّه تعالى هو الفاعل لافعال المخلوقين، فيكون قد أجبر الناس على فعل المعاصى، وهو مع ذلک يعذِّبهم عليها، وأجبرهم على فعل الطاعات ومع ذلک يثيبهم عليها، لانهم يقولون: إنّ أفعالهم فى الحقيقة أفعاله، وإنّما تنسب إليهم على سبيل التجوُّز، لانّهم محلها، ومرجع ذلک إلى إنكار السببية الطبيعية بين الاشياء، وأنه تعالى هو السبب الحقيقى لاسبب سواه.

وقد أنكروا السببية الطبيعية بين الاشياء، إذ ظنّوا أنّ ذلک هو مقتضى كونه تعالى هو الخالق الذى لا شريک له.

ومن يقول بهذه المقالة فقد نسب الظلم إليه، تعالى عن ذلک.

وذهب قوم آخرون ـ وهم المفوِّضة ـ إلى أنّه تعالى فوَّض الافعال إلى المخلوقين، ورفع قدرته وقضاءه وتقديره عنها، باعتبار أنّ نسبة الافعال إليه تعالى تستلزم نسبة النقص إليه، وأنّ للموجودات أسبابها الخاصة، وإن انتهت كلُّها إلى مسبِّب الاسباب والسبب الاول، وهو الله تعالى.

ص:38

ومن يقول بهذه المقالة فقد أخرج الله تعالى من سلطانه، وأشرک غيره معه فى الخلق.

واعتقادنا فى ذلک تبع لما جاء عن أئمتناالاطهار (عليهم السلام) من الامر بين الامرين، والطريق الوسط بين القولين، الذى كان يعجز عن فهمه أمثال أولئک المجادلين من أهل الكلام، ففرّط منهم قوم وأفرط آخرون، ولم يكتشفه العلم والفلسفة إلاّ بعد عدة قرون.

وليس من الغريب ممّن لم يطّلع على حكمة الائمة (عليهم السلام)وأقوالهم أن يحسب أن هذا القول ـ وهو الامر بين الامرين ـ من مكتشفات بعض فلاسفة الغرب المتأخرين، وقد سبقه إليه أئمّتنا قبل عشرة قرون.

فقد قال إمامنا الصادق (عليه السلام) لبيان الطريق الوسط كلمته المشهورة: «ولا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين»(١).

ما أجلَّ هذا المغزى وما أدقّ معناه، وخلاصته: إنّ أفعالنا من جهة هى أفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية وهى تحت قدرتنا واختيارنا، ومن جهة أخرى هى مقدورة لله تعالى وداخلة فى

---

(١) الكافى ١٦٠/١، الاحتجاج ٤٩٠/٢، التوحيد: ٣٢٦.

سلطانه لانّه هو مفيض الوجود ومعطيه، فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا فى عقابنا على المعاصى لانّ لنا القدرة والاختيار فيما نفعل، ولم يفوِّض إلينا خلق أفعالنا حتى يكون قد أخرجها عن سلطانه، بل له الخلق والحكم والامر، وهو قادر على كل شىء ومحيط بالعباد.

وعلى كل حال، فعقيدتنا: أنّ القضاء والقدر سر من أسرار الله تعالى، فمن استطاع أن يفهمه على الوجه اللائق بلا إفراط ولاتفريط فذلک، وإلاّ فلا يجب عليه أن يتكلّف فهمه والتدقيق فيه، لئلاّ يضل وتفسد عليه عقيدته، لانه من دقائق الامور، بل من أدق مباحث الفلسفة التى لا يدركها إلاّ الاوحدى من الناس، ولذا زلّت به أقدام كثير من المتكلّمين.

فالتكليف به تكليف بما هو فوق مستوى مقدور الرجل العادى، ويكفى أن يعتقد به الانسان على الاجمال اتّباعاً لقول الائمة الاطهار (عليهم السلام) من أنّه أمر بين الامرين، ليس فيه جبر ولا تفويض.

وليس هو من الاصول الاعتقادية حتى يجب تحصيل الاعتقاد به على كل حال على نحو التفصيل والتدقيق.

ص:40

١١ ـ عقيدتنا فى البداء

البداء فى الانسان: أن يبدو له رأى فى الشىء لم يكن له ذلک الرأى سابقاً، بأنّ يتبدَّل عزمه فى العمل الذى كان يريد أن يصنعه، إذ يحدث عنده ما يغيِّر رأيه وعلمه به، فيبدو له تركه بعد أن كان يريد فعله، وذلک عن جهل بالمصالح وندامة على ما سبق منه.

والبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى، لانه من الجهل والنقص، وذلک محال علىٰ تعالى، ولا تقول به الامامية.

قال الصادق (عليه السلام): «من زعم أنّ الله تعالى بدا له فى شىء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم»(١).

وقال أيضاً: «من زعم أن الله بدا له فى شىء ولم يعلمه أمس فأبرأ منه»(٢).

غير أنّه وردت عن أئمتنا الاطهار (عليهم السلام) روايات توهم القول بصحة البداء بالمعنى المتقدِّم، كما ورد عن الصادق (عليه السلام): «ما بدا لله

---

(١) كمال الدين: ۶۹.

(٢) كمال الدين: ٧٠.

فی شیء کما بدا له فی إسماعیل ابنی»(۱)، ولذلک نَسبَ بعض المؤلّفین فی الفرق الاسلامیة إلی الطائفة الامامیة القول بالبداء طعناً فی المذهب وطریق آل البیت، وجعلوا ذلک من جملة التشنیعات علی الشیعة.

والصحیح فی ذلک أن نقول کما قال الله تعالی فی محکم کتابه المجید: (یَمحُوا اللهُ ما یَشَآءُ ویُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الکِتَابِ) (۲).

ومعنی ذلک: أنّه تعالی قد یظهر شیئاً علی لسان نبیِّه أو ولیِّه، أو فی ظاهر الحال لمصلحة تقتضی ذلک الاظهار، ثم یمحوه فیکون غیر ما قد ظهر أولاً، مع سبق علمه تعالی بذلک، کما فی قصة إسماعیل لما رأی أبوه إبراهیم أنّه یذبحه.

فیکون معنی قول الامام (علیه السلام): أنّه ما ظهر لله سبحانه أمر فی شیء کما ظهر له فی اسماعیل ولده، إذ اخترمه قبله لیعلم الناس أنّه لیس بإمام، وقد کان ظاهر الحال أنّه الامام بعده، لانه أکبر ولده.

وقرب من البداء فی هذا المعنی نسخ أحکام الشرائع السابقة بشریعة نبیّنا (صلی الله علیه وآله وسلم)، بل نسخ بعض الاحکام التی جاء بها

---

(۱) التوحید: ۳۳۶، کمال الدین: ۶۹.

(۲) الرعد: ۳۹.

نبیّنا (صلی الله علیه وآله وسلم).

نعتقد: أنّه تعالى جعل أحكامه ـ من الواجبات والمحرّمات وغيرهما ـ طبقاً لمصالح العباد فى نفس أفعالهم، فما فيه المصلحة الملزمة جعله واجباً، وما فيه المفسدة البالغة نهى عنه، وما فيه مصلحة راجحة ندبنا إليه.

وهكذا فى باقى الاحكام، وهذا من عدله ولطفه بعباده.

ولابدّ أن يكون له فى كل واقعة حكم، ولا يخلو شىء من الاشياء من حكم واقعى لله فيه، وإن انسدَّ علينا طريق علمه.

ونقول أيضاً: إنّه من القبيح أن يأمر بما فيه المفسدة، أو ينهى عمّا فيه المصلحة.

غير أنّ بعض الفرق من المسلمين يقولون: إنّ القبيح ما نهى الله تعالى عنه، والحسن ما أمر به، فليس فى نفس الافعال مصالح أو مفاسد ذاتية، ولا حسن أو قبح ذاتيان، وهذا قول مخالف للضرورة العقلية .

كما أنّهم جوَّزوا أن يفعل الله تعالى القبيح فيأمر بها فيه المفسدة، وينهى عمّا فيه المصلحة. وقد تقدَّم أنّ هذا القول فيه مجازفة

عظيمة، وذلک لاستلزامه نسبة الجهل أو العجز إليه سبحانه، تعالى علواً كبيراً.

والخلاصة: أنّ الصحيح فى الاعتقاد أن نقول: إنّه تعالى لامصلحة له ولا منفعة فى تكليفنا بالواجبات ونهينا عن فعل ما حرَّمه، بل المصلحة والمنفعة ترجع لنا فى جميع التكاليف، ولامعنى لنفى المصالح والمفاسد فى الافعال المأمور بها والمنهى عنها، فإنّه تعالى لايأمر عبثاً ولاينهى جزافاً، وهو الغنى عن عباده.

ص:45

الفصل الثانى
النبوة

عقيدتنا فى:

النبوة

النبوة لطف

معجزة الانبياء

عصمة الانبياء

صفات النبى

الانبياء وكتبهم

الاسلام

مشرّع الاسلام

القرآن الكريم

طريقة إثبات الاسلام

ص:46

ص:47

١٣ ـ عقيدنا فى النبوّة

نعتقد: أنّ النبوّة وظيفة إلهية وسفارة ربّانية، يجعلها الله تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين فى إنسانيّتهم، فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم فى الدنيا والاخرة، لغرض تنزيههم وتزكيتهم من درن مساوئ الاخلاق ومفاسد العادات، وتعليمهم الحكمة والمعرفة، وبيان طريق السعادة والخير، لتبلغ الانسانية كمالها اللائق بها، فترتفع إلى درجاتها الرفيعة فى الدارين دار الدنيا ودار الاخرة.

ونعتقد: أنّ قاعدة اللطف ـ على ما سيأتى معناها ـ توجب أن يبعث الخالق ـ اللطيف بعباده ـ رسله لهداية البشر وأداء الرسالة الاصلاحية، وليكونوا سفراء الله وخلفاءه.

كما نعتقد: أنه تعالى لم يجعل للناس حق تعيين النبى أو ترشيحه أو انتخابه، وليس لهم الخيرة فى ذلک، بل أمر كلّ ذلک

ص:48

بيده تعالى، لانه (أعلمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَالَتهُ) (١).

وليس لهم أن يتحكّموا فيمن يرسله هادياً ومبشِّراً ونذيراً، ولا أن يتحكّموا فيما جاء به من أحكام وسنن وشريعة.

إنّ الانسان مخلوق غريب الاطوار، معقَّد التركيب فى تكوينه وفى طبيعته وفى نفسيّته وفى عقله، بل فى شخصية كلّ فرد من أفراده، وقد اجتمعت فيه نوازع الفساد من جهة، وبواعث الخير والصلاح من جهة أخرى.

فمن جهة: قد جبل على العواطف والغرائز من حب النفس والهوى والاثرة وإطاعة الشهوات، وفطر على حب التغلُّب والاستطالة والاستيلاء على ما سواه، والتكالب على الحياة الدنيا وزخارفها ومتاعها، كما قال تعالى: (إنَّ الانسَانَ لَفِى خُسْر)(٢)، و: (إنّ الانسَانَ لَيَطْغى أن رآهُ استَغنَى)(٣)، و: (إنَّ

---

(١) الانعام: ١٢٤.

(٢) العصر: ٢.

(٣) العلق: ٦ ـ ٧.

النَّفسَ لامَّارَةٌ بِالسُّوءِ)(١)، إلى غير ذلک من الايات المصرِّحة والمشيرة إلى ما جُبلت عليه النفس الانسانية من العواطف والشهوات.

ومن الجهة الثانية: خلق الله تعالى فيه عقلاً هادياً يرشده إلى الصلاح ومواطن الخير، وضميراً وازعاً يردعه عن المنكرات والظلم ويؤنبه على فعل ما هو قبيح ومذموم.

ولا يزال الخصام الداخلى فى النفس الانسانية مستعراً بين العاطفة والعقل، فمن يتغلّب عقله على عاطفته كان من الاعلين مقاماً والراشدين فى انسانيتهم والكاملين فى روحانيتهم، ومن تقهره عاطفته كان من الاخسرين منزلة والمتردّين إنسانية والمنحدرين إلى رتبة البهائم.

وأشد هذين المتخاصمين مراساً على النفس هى العاطفة وجنودها، فلذلک تجد أكثر الناس منغمسين فى الضلالة ومبتعدين عن الهداية، بإطاعة الشهوات وتلبية نداء العواطف، (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَو حَرَصتَ بِمُؤمِنِينَ) (٢).

---

(١) يوسف: ٥٣.

(٢) يوسف: ١٠٣.

ص:50

على أنّ الانسان لقصوره وعدم اطّلاعه على جميع الحقائق وأسرار الاشياء المحيطة به والمنبثقة من نفسه، لا يستطيع أن يعرف بنفسه كل ما يضرّه وينفعه، ولا كل ما يسعده ويشقيه، لا فيما يتعلّق بخاصّة نفسه، ولا فيما يتعلّق بالنوع الانسانى ومجتمعه ومحيطه، بل لا يزال جاهلاً بنفسه، ويزيد جهلاً أو إدراكاً لجهله بنفسه كلّما تقدّم العلم عنده بالاشياء الطبيعية والكائنات المادية.

وعلى هذا، فالانسان فى أشّد الحاجة ليبلغ درجات السعادة الى من ينصب له الطريق اللاحب، والنهج الواضح إلى الرشاد واتّباع الهدى ; لتقوى بذلک جنود العقل، حتى يتمكن من التغلب على خصمه اللّدود اللجوج عندما يهيئ الانسان نفسه لدخول المعركة الفاصلة بين العقل والعاطفة.

وأكثر ما تشتد حاجته إلى من يأخذ بيده إلى الخير والصلاح عندما تخادعه العاطفة وتراوغه ـ وكثيراً ما تفعل ـ فتزيِّن له أعماله وتحسن لنفسه انحرافاتها، إذ تريه ما هو حسن قبيحاً، أو ما هو قبيح حسناً، وتلبس على العقل طريقه إلى الصلاح والسعادة والنعيم، فى وقت ليس له تلک المعرفة التى تميّز له كلّ ما هو حسن ونافع وكل ما هو قبيح وضار، وكل واحد منّا صريع لهذه المعركة

ص:51

من حيث يدرى ولا يدرى، إلاّ من عصمه الله.

ولاجل هذا يعسر على الانسان المتمدّن المثقَّف ـ فضلاً عن الوحشى الجاهل ـ أن يصل بنفسه إلى جميع طريق الخير والصلاح، ومعرفة جميع ما ينفعه ويضّره فى دنياه وآخرته، فيما يتعلَّق بخاصة نفسه أو بمجتمعه ومحيطه، مهما تعاضد مع غيره من أبناء نوعه ممّن هو على شاكلته وتكاشف معهم، ومهما أقام بالاشتراك معهم المؤتمرات والمجالس والاستشارات.

فوجب أن يبعث الله تعالى فى الناس رحمة لهم ولطفاً بهم (رَسُولاً مِنهُم يَتلوُا عَلَيهِم ءايتهِ وَيُزكِّيهِم ويُعلّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكمَةَ) (١)، وينذرهم عمّا فيه فسادهم، ويبشّرهم بما فيه صلاحهم وسعادتهم.

وإنّما كان اللطف من الله تعالى واجباً، فلانّ اللطف بالعباد من كماله المطلق، وهو اللطيف بعباده الجواد الكريم، فإذا كان المحل قابلاً ومستعداً لفيض الجود واللطف، فإنّه تعالى لابد أن يفيض لطفه، إذ لا بخل فى ساحة رحمته، ولا نقص فى جوده وكرمه.

---

(١) الجمعة: ٢.

وليس معنى الوجوب هنا أنّ أحداً يأمره بذلك فيجب عليه أن يطيع، تعالى عن ذلك، بل معنى الوجوب فى ذلك هو كمعنى الوجوب فى قولك: إنّه واجب الوجود، أى: اللزوم واستحالة الانفكاك.

١٥ ـ عقيدتنا فى معجزة الانبياء

نعتقد: أنّه تعالى إذ ينصّب لخلقه هادياً ورسولاً لابدّ أن يعرِّفهم بشخصه، ويرشدهم إليه بالخصوص على وجه التعيين، وذلك منحصر بأن ينصب على رسالته دليلاً وحجّة يقيمها لهم، إتماماً للّطف، واستكمالاً للرحمة.

وذلك الدليل لابدّ أن يكون من نوع لا يصدر إلاّ من خالق الكائنات ومدبر الموجودات، أى: فوق مستوى مقدور البشر، فيجريه على يدى ذلك الرسول الهادى، ليكون معرِّفاً به ومرشداً إليه، وذلك الدليل هو المسمى بالمعجز أو المعجزة، لانّه يكون على وجه يعجز البشر عن مجاراته والاتيان بمثله.

وكما أنّه لابد للنبى من معجزة يظهر بها للناس لاقامة الحجة عليهم، فلابد أن تكون تلك المعجزة ظاهرة الاعجاز بين الناس

ص:53

على وجه يعجز عنها العلماء وأهل الفن فى وقته، فضلاً عن غيرهم من سائر الناس، مع اقتران تلك المعجزة بدعوى النبوّة منه، لتكون دليلاً على مدّعاه، وحجة بين يديه، فإذا عجز عنها أمثال أولئک عُلم أنّها فوق مقدور البشر وخارقة للعادة، فيعلم أنّ صاحبها فوق مستوى البشر، بما له من ذلک الاتصال الروحى بمدبّر الكائنات.

وإذا تمَّ ذلک لشخص من ظهور المعجز الخارق للعادة، وادّعى ـ مع ذلک ـ النبوة والرسالة، يكون حينئذ موضعاً لتصديق الناس بدعواه والايمان برسالته والخضوع لقوله وأمره، فيؤمن به من يؤمن ويكفر به من يكفر.

ولاجل هذا وجدنا أنّ معجزة كل نبى تناسب ما يشتهر فى عصره من العلوم والفنون، فكانت معجزة موسى (عليه السلام) هى العصا التى تلقف السحر وما يأفكون، إذ كان السحر فى عصره فنّاً شائعاً، فلما جاءت العصا بطل ما كانوا يعملون، وعلموا أنّها فوق مقدورهم وأعلى من فنّهم، وأنّها ممّا يعجز عن مثله البشر ويتضاءل عندها الفن والعلم.

وكذلک كانت معجزة عيسى (عليه السلام)، وهى إبراء الاكمه والابرص وإحياء الموتى، إذ جاءت فى وقت كان فن الطب هو السائد بين

ص:54

الناس، وفيه علماء وأطباء لهم المكانة العليا، فعجز علمهم عن مجاراة ما جاء به عيسى (عليه السلام).

ومعجزة نبيّنا الخالدة هى القرآن الكريم، المعجز ببلاغته وفصاحته، فى وقت كان فن البلاغة معروفاً، وكان البلغاء هم المقدّمون عند الناس بحسن بيانهم وسموٍّ فصاحتهم، فجاء القرآن كالصاعقة، أذلّهم وأدهشهم، وأفهمهم أنّهم لا قِبَل لهم له، فخنعوا له مهطعين عندما عجزوا عن مجاراته وقصروا عن اللحاق بغباره.

ويدلّ على عجزهم أنّه تحدّاهم بإتيان عشر سور مثله فلم يقدروا، ثمّ تحدّاهم أن يأتوا بسورة من مثله فنكصوا، ولما علمنا عجزهم عن مجاراته مع تحدّيه لهم، وعلمنا لجوءهم إلى المقاومة بالسنان دون اللسان، علمنا أنّ القرآن من نوع المعجز، وقد جاء به محمّد بن عبد الله مقروناً بدعوى الرسالة.

فعلمنا أنّه رسول الله، جاء بالحق وصدق به، صلّى الله عليه وآله.

١٦ ـ عقيدتنا فى عصمة الانبياء

ونعتقد: أنّ الانبياء معصومون قاطبة، وكذلک الائمة عليهم جميعاً التحيات الزاكيات، وخالَفَنا فى ذلک بعض المسلمين، فلم

يوجبوا العصمة فى الانبياء، فضلاً عن الائمة.

والعصمة: هى التنزُّه عن الذنوب والمعاصى صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ والنسيان، وإن لم يمتنع عقلاً على النبى أن يصدر منه ذلک، بل يجب أن يكون منزَّهاً حتى عمّا ينافيى المروءة، كالتبذّل بين الناس: من أكل فى الطريق، أو ضحک عال، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام.

والدليل على وجوب العصمة: أنّه لو جاز أن يفعل النبى المعصية، أو يخطأ وينسى، وصدر منه شىء من هذا القبيل، فإمّا أن يجب إتّباعه فى فعله الصادر منه عصياناً أو خطأً، أو لا يجب:

فان وجب اتّباعه فقد جوّزنا فعل المعاصى برخصة من الله تعالى، بل أوجبنا ذلک، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل.

وإن لم يجب اتّباعه فذلک ينافى النبوّة التى لابدّ أن تقترن بوجوب الطاعة أبداً.

على أن كل شىء يقع منه من فعل أو قول فنحن نحتمل فيه المعصية أو الخطأ، فلا يجب إتّباعه فى شىء من الاشياء، فتذهب فائدة البعثة، بل يصبح النبى كسائر الناس، ليس لكلامهم ولا لعملهم تلک القيمة العالية التى يعتمد عليها دائماً، كما لا تبقى طاعة

حتمية لاوامره، ولا ثقة مطلقة بأقواله وأفعاله.

وهذا الدليل على العصمة يجرى عيناً فى الامام، لانّ المفروض فيه أنّه منصوب من الله تعالى لهداية البشر خليفة للنبى، على ما سيأتى فى فصل الامامة.

١٧ ـ عقيدتنا فى صفات النبى

ونعتقد: أنّ النبى ـ كما يجب أن يكون معصوماً ـ يجب أن يكون متّصفاً بأكمل الصفات الخلقية والعقلية وأفضلها، من نحو: الشجاعة، والسياسة، والتدبير، والصبر، والفطنة، والذكاء ; حتّى لايدانيه بشر سواه فيها، لانّه لولا ذلک لما صحّ أن تكون له الرئاسة العامة على جميع الخلق، ولا قوَّة إدارة العالم كله.

كما يجب أن يكون: طاهر المولد، أميناً، صادقاً، منزَّهاً عن الرذائل قبل بعثته أيضاً ; لكى تطمئنّ إليه القلوب وتركن إليه النفوس، بل لكى يستحق هذا المقام الالهى العظيم.

١٨ ـ عقيدتنا فى الانبياء وكتبهم

نؤمن على الاجمال بانّ جميع الانبياء والمرسلين على حق،

كما نؤمن بعصمتهم وطهارتهم، وأمّا إنكار نبوّتهم أو سبّهم أو الاستهزاء بهم فهو من الكفر والزندقة، لانّ ذلک يستلزم إنكار نبينا الذى أخبر عنهم وصدّقهم.

أمّا المعروفة أسماؤهم وشرائعهم، كآدم ونوح وإبراهيم وداود وسليمان وموسى وعيسى وسائر من ذكرهم القرآن الكريم بأعيانهم، فيجب الايمان بهم على الخصوص، ومن أنكر واحداً منهم فقد أنكر الجميع، وأنكر نبوّة نبيّنا بالخصوص.

وكذلک يجب الايمان بكتبهم وما نزل عليهم.

وأمّا التوراة والانجيل الموجودان الان بين أيدى الناس، فقد ثبت أنّهما محرّفان عمّا أنزلا، بسبب ما حدث فيهما من التغيير والتبديل والزيادات والاضافات بعد زمانى موسى وعيسى (عليهما السلام)بتلاعب ذوى الاهواء والاطماع، بل الموجود منهما أكثره ـ أو كلّه ـ موضوع بعد زمانهما من الاتباع والاشياع.

نعتقد: أنّ الدين عند الله الاسلام، وهو الشريعة الالهية الحقّة التى هى خاتمة الشرائع وأكملها، وأوفقها فى سعادة البشر،

ص:58

وأجمعها لمصالحهم فى دنياهم وآخرتهم، وصالحة للبقاء مدى الدهور والعصور، لا تتغيّر ولا تتبدّل، وجامعة لجميع ما يحتاجه البشر من النظم الفردية والاجتماعية والسياسية.

ولمّا كانت خاتمة الشرائع، ولا نترقَّب شريعة أخرى تُصلح هذا البشر المنغمس بالظلم والفساد، فلابدَّ أن يأتى يوم يقوى فيه الدين الاسلامى، فيشمل المعمورة بعدله وقوانينه.

ولو طُبِّقت الشريعة الاسلامية بقوانينها فى الارض تطبيقاً كاملاً صحيحاً، لعمّ السلام بين البشر، وتمَّت السعادة لهم، وبلغوا أقصى ما يحلم به الانسان من الرفاه والعزّة والسعة والدعة والخلق الفاضل، ولانقشع الظلم من الدنيا، وسادت المحبّة والاخاء بين الناس أجمعين، ولا نمحى الفقر والفاقة من صفحة الوجود.

وإذا كنّا نشاهد اليوم الحالة المخجلة والمزرية عند الذين يسمّون أنفسهم بالمسلمين، فلانّ الدين الاسلامى فى الحقيقة لم يطبَّق بنصه وروحه، ابتداء من القرن الاول من عهودهم، واستمرت الحال بنا ـ نحن الذين سمّينا أنفسنا بالمسلمين ـ من سيّء إلى أسوأ إلى يومنا هذا، فلم يكن التمسّک بالدين الاسلامى هو الذى جر على المسلمين هذا التأخّر المشين، بل بالعكس: إنّ تمرُّدهم على

ص:59

تعاليمه، واستهانتهم بقوانينه، وانتشار الظلم والعدوان فيهم، من ملوكهم إلى صعاليكهم ومن خاصتهم إلى عامتهم ; هو الذى شلَّ حركة تقدّمهم، وأضعف قوّتهم، وحطَّم معنوياتهم، وجلب عليهم الويل والثبور، فأهلكهم الله تعالى بذنوبهم، (ذَلِکَ بِأَنَّ اللهَ لَم يَکُ مُغيِّراً نِعمَةً أنعَمَهَا عَلى قَوم حَتَّى يُغَيِّروا مَا بِأنفُسِهِم) (١)، تلک سنّة الله فى خلقه، (إنَّهَ لا يُفلحِ المُجرِمُونَ) (٢)، (وَمَا كانَ رَبُّکَ لِيُهلِکَ القُرَى بِظلم وأهلُهَا مُصلِحونَ) (٣)، (وَكذَلِکِ أخذُ رَبّکَ إذَا أخَذَ القُرَى وَهى ظَالِمَةٌ إنَّ أخذَهُ أليمٌ شَدِيدٌ) (٤).

وكيف ينتظر من الدين أن ينتشل الامّة من وهدتها وهو عندها حبر على ورق، لا يعمل بأقل القليل من تعاليمه.

إنّ الايمان والامانة، والصدق والاخلاص، وحسن المعاملة والايثار، وأن يحب المسلم لاخيه ما يحب لنفسه، وأشباهها، من أوّل أُسس دين الاسلام، والمسلمون قد ودّعوها من قديم أيّامهم

---

(١) الانفال: ٥٣.

(٢) يونس: ١٧.

(٣) هود: ١١٧.

(٤) هود: ١٠٢.

إلى حيث نحن الان، وكلّما تقدم بهم الزمن وجدناهم أشتاتاً وأحزاباً وفرقاً، يتكالبون على الدنيا، ويتطاحنون على الخيال، ويكفِّر بعضهم بعضاً، بالاراء غير المفهومة، أو الأُمور التى لاتعنيهم، فانشغلوا عن جوهر الدين وعن مصالحهم ومصالح مجتمعهم: بأمثال النزاع فى خلق القرآن، والقول بالوعيد والرجعة، وأنّ الجنة والنار مخلوقتان أو سيخلقان، ونحو هذه النزاعات التى أخذت منهم بالخناق، وكفّر بها بعضهم بعضاً، وهى إن دلّت على شىء فإنّما تدلّ على انحرافهم عن سنن الجادّة المعبّدة لهم، إلى حيث الهلاك والفناء.

وزاد الانحراف فيهم بتطاول الزمان، حتى شملهم الجهل والضلال، وانشغلوا بالتوافه والقشور، وبالاتعاب والخرافات والاوهام، وبالحروب والمجادلات والمباهاة، فوقعوا بالاخير فى هاوية لاقعر لها، يوم تمكّن الغرب المتيقظ ـ العدو اللّدود للاسلام ـ من أن يستعمر هذه البقاع المنتسبة إلى الاسلام، وهى فى غفلتها وغفوتها، فيرمى بها فى هذه الهوّة السحيقة، ولا يعلم إلاّ الله تعالى مداها ومنتهاها (وَمَا كانَ رَبُّکَ لِيُهلِکَ القُرى بِظُلم وَأهلُهَا

مُصلِحُونَ) (١).

ولا سبيل للمسلمين اليوم وبعد اليوم إلاّ أن يرجعوا إلى أنفسهم فيحاسبوها على تفريطهم، وينهضوا إلى تهذيب أنفسهم والاجيال الاتية بتعاليم دينهم القويمة، ليمحوا الظلم والجور من بينهم، وبذلک يتمكّنون من أن ينجوا بأنفسهم من هذه الطامة العظمى، ولابدّ بعد ذلک أن يملاوا الارض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، كما وعدهم الله تعالى ورسوله، وكما هو المترقّب من دينهم الذى هو خاتمة الاديان، ولا رجاء فى صلاح الدنيا وإصلاحها بدونه.

ولابدّ من إمام ينفى عن الاسلام ما علق فيه من أوهام، وأُلصق فيه من بدع وضلالات، وينقذ البشر وينجّيهم ممّا بلغوا إليه من فساد شامل، وظلم دائم وعدوان مستمر، واستهانة بالقيم الاخلاقية والارواح البشرية، عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه.

٢٠ ـ عقيدتنا فى مشرِّع الاسلام

نعتقد: أنّ صاحب الرسالة الاسلامية هو محمّد بن عبد الله،

---

(١) هود: ١١٧.

وهو خاتم النبيين، وسيّد المرسلين، وأفضلهم على الاطلاق، كما أنّه سيّد البشر جميعاً، لا يوازيه فاضل فى فضل، ولا يدانيه أحد فى مكرمة، ولا يقاربه عاقل فى عقل، ولا يشبهه شخص فى خلق، وأنّه لعلى خلق عظيم، ذلک من أول نشأة البشر إلى يوم القيامة.

٢١ ـ عقيدتنا فى القرآن الكريم

نعتقد: أنّ القرآن هو الوحى الالهى المنزَّل من الله تعالى على لسان نبيه الاكرم فيه تبيان كل شىء، وهو معجزته الخالدة التى أعجزت البشر عن مجاراتها فى البلاغة والفصاحة، وفيما احتوى من حقائق ومعارف عالية، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف.

وهذا الذى بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزّل على النبى، ومن ادّعى فيه غير ذلک فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه، وكلّهم على غير هدى، فانه كلام الله الذى (لا يَأتيهِ البطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلا مِن خَلفِهِ) (١).

ومن دلائل إعجازه: أنّه كلّما تقدّم الزمن وتقدّمت العلوم

---

(١) فصلت: ۴۲.

والفنون، فهو باق على طراوته وحلاوته، وعلى سموّ مقاصده وأفكاره، ولا يظهر فيه خطأ فى نظرية علمية ثابتة، ولا يتحمل نقض حقيقة فلسفية يقينية، على العكس من كتب العلماء وأعاظم الفلاسفة، مهما بلغوا فى منزلتهم العلمية ومراتبهم الفكرية، فانّه يبدو بعض منها ـ على الاقل ـ تافهاً أو نابياً أو مغلوطاً كلّما تقدّمت الابحاث العلمية، وتقدمت العلوم بالنظريات المستحدثة، حتى من مثل أعاظم فلاسفة اليونان كسقراط وأفلاطون وأرسطو الذين اعترف لهم جميع من جاء بعدهم بالابوّة العلمية والتفوّق الفكرى.

ونعتقد أيضاً: بوجوب احترام القرآن الكريم وتعظيمه بالقول والعمل، فلا يجوز تنجيس كلماته حتى الكلمة الواحدة المعتبرة جزءً منه على وجه يقصد أنّها جزء منه.

كما لا يجوز لمن كان على غير طهارة أن يمسّ كلماته أو حروفه (لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ) (١) سواء كان محدِثاً بالحدث الاكبر كالجنابة والحيض والنفاس وشبهها، أو محدِثاً بالحدث الاصغر حتى النوم، إلاّ إذا اغتسل أو توضّأ، على التفاصيل التى تذكر فى

---

(١) الواقعة: ۷۹.

ص:64

الكتب الفقهية.

كما أنّه لا يجوز إحراقه، ولا يجوز توهينه، بأىّ ضرب من ضروب التوهين الذى يعد فى عرف الناس توهيناً: مثل رميه، أو تقذيره، أو سحقه بالرجل، أو وضعه فى مكان مستحقر ; فلو تعمّد شخص توهينه وتحقيره ـ بفعل واحد من هذه الامور وشبهها ـ فهو معدود من المنكرين للاسلام وقدسيته، المحكوم عليهم بالمروق عن الدين والكفر بربِّ العالمين.

٢٢ ـ طريقة إثبات الاسلام والشرائع السابقة

لو خاصمنا أحد فى صحّة الدين الاسلامى، نستطيع أن نخصمه بإثبات المعجزة الخالدة له، وهى القرآن الكريم، على ما تقدّم من وجه إعجازه ; وكذلک هو طريقنا لاقناع نفوسنا عند ابتداء الشک والتساؤل اللّذين لابدّ أن يمرّا على الانسان الحر فى تفكيره عند تكوين عقيدته أو تثبيتها.

أما الشرائع السابقة، كاليهودية والنصرانية، فنحن قبل التصديق بالقرآن الكريم، أو عند تجريد أنفسنا عند العقيدة الاسلامية، لاحجّة لنا لاقناع نفوسنا بصحتها، ولا لاقناع المشكّک المتسائل،

ص:65

إذ لا معجزة باقية لها كالكتاب العزيز، وما ينقله أتباعها من الخوارق والمعاجز للانبياء السابقين، فهم متّهمون فى نقلهم لها أو حكمهم عليها، وليس فى الكتب الموجودة بين أيدينا المنسوبةإلى الانبياء كالتوراة والانجيل ما يصلح أن يكون معجزة خالدة تصح أن تكون حجّة قاطعة ودليلاً مقنعاً فى نفسها قبل تصديق الاسلام لها.

وإنّما صحّ لنا ـ نحن المسلمين ـ أن نقرَّ ونصدّق بنبوة أهل الشرائع السابقة، فلانّا بعد تصديقنا بالدين الاسلامى، كان علينا أن نصدّق بكل ما جاء به وصدّقه، ومن جملة ما جاء به وصدّقه نبوّه جملة من إلانّبياء السابقين على نحو ما مرّ ذكره.

وعلى هذا فالمسلم فى غنى عن البحث والفحص عن صحّة الشريعة النصرانية وما قبلها من الشرائع السابقة بعد اعتناقه الاسلام، لانّ التصديق به تصديق بها، والايمان به إيمان بالرسل السابقين والانبياء المتقدّمين، فلا يجب على المسلم أن يبحث عنها ويفحص عن صدق معجزات أنبيائها، لانّ المفروض أنّه مسلم قد آمن بها بإيمانه بالاسلام، وكفى.

نعم، لو بحث الشخص عن صحّة الدين الاسلامى، فلم تثبت له صحّته، وجب عليه عقلاً ـ بمقتضى وجوب المعرفة والنظر ـ أن

ص:66

يبحث عن صحّة دين النصرانية، لانّه هو آخر الاديان السابقة على الاسلام، فإن فحص ولم يحصل له اليقين به أيضاً وجب عليه أن ينتقل فيفحص عن آخر الاديان السابقة عليه، وهو دين اليهودية حسب الفرض، وهكذا ينتقل فى الفحص حتى يتم له اليقين بصحّة دين من الاديان، أو يرفضها جميعاً.

وعلى العكس فيمن نشأ على اليهودية أو النصرانية، فإنّ اليهودى لا يغنيه اعتقاده بدينه عن البحث عن صحّة النصرانية والدين الاسلامى، بل يجب عليه النظر والمعرفة بمقتضى حكم العقل، وكذلك النصرانى ليس له أن يكتفى بإيمانه بالمسيح (عليه السلام)، بل يجب أن يبحث ويفحص عن الاسلام وصحّته، ولا يعذر فى القناعة بدينه من دون بحث وفحص، لانّ اليهودية وكذا النصرانية لاتنفى وجود شريعة لاحقة لها ناسخة لاحكامها، ولم يقل موسى ولا المسيح (عليهما السلام) أنه لا نبى بعدى.

فكيف يجوز لهؤلاء النصارى واليهود أن يطمئنّوا إلى عقيدتهم ويركنوا إلى دينهم قبل أن يفحصوا عن صحّة الشريعة اللاحقة لشريعتهم، كالشريعة النصرانية بالنسبة إلى اليهود والشريعة الاسلامية بالنسبة إلى اليهود والنصارى، بل يجب ـ بحسب فطرة

ص:67

العقول ـ أن يفحصوا عن صحة هذه الدعوى اللاحقة، فإن ثبتت لهم صحتها انتقلوا فى دينهم إليها، وإلاّ صحّ لهم ـ فى شريعة العقل ـ حينئذ البقاء على دينهم القديم والركون إليه.

أمّا المسلم ـ كما قلنا ـ فإنّه إذا اعتقد بالاسلام لا يجب عليه الفحص، لا عن الاديان السابقة على دينه، ولا عن اللاحقة التى تدّعى:

أمّا السابقة، فلانّ المفروض أنّة مصدِّق بها، فلماذا يطلب الدليل عليها؟ وإنّما فقط قد حكم له بأنّها منسوخة بشريعته الاسلامية، فلا يجب عليه العمل بأحكامها ولا بكتبها.

وأمّا اللاحقة، فلانّ نبى الاسلام محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا نبىّ بعدى»(١)، وهو الصادق الامين كما هو المفروض، (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إن هُوَ إلاَّ وَحىٌ يُوحَى) (٢)، فلماذا يطلب الدليل على صحّة دعوى النبوة المتأخرة إن ادعاها مدع؟

نعم، على المسلم ـ بعد تباعد الزمان عن صاحب الرسالة،

---

(١) الامالى للمفيد: ٣٣، صحيح مسلم ١٤٧١/٣، مسند أحمد ٢٣/٣، المعجم الكبير ١٦١/٨، سنن البيهقى ١٤٤/٨.

(٢) النجم: ٣، ٤.

واختلاف المذاهب والاراء، وتشعّب الفرق والنحل ـ أن يسلك الطريق الذى يثق فيه أنّه يوصله إلى معرفة الاحكام المنزَّلة على محمّد صاحب الرسالة، لانّ المسلم مكلَّف بالعمل بجميع الاحكام المنزَّلة فى الشريعة كما أُنزلت.

ولكن كيف يعرف أنّها الاحكام المنزَّلة كما أُنزلت، والمسلمون مختلفون، والطوائف متفرّقة، فلا الصلاة واحدة، ولا العبادات متّفقة، ولا الاعمال فى جميع المعاملات على وتيرة واحدة! فماذا يصنع؟ بأيّة طريقة من الصلاة ـ إذن ـ يصلّى؟ وبأيّة شاكلة من الاراء يعمل فى عباداته ومعاملاته: كالنكاح، والطلاق، والميراث، والبيع، والشراء، وإقامة الحدود والديّات، وما إلى ذلك؟

ولا يجوز له أن يقلّد الاباء، ويستكين إلى ما عليه أهله وأصحابه، بل لابدّ أن يتيقّن بينه وبين نفسه، وبينه وبين الله تعالى، فإنه لا مجاملة هنا ولا مداهنة، ولا تحيّز ولا تعصّب.

نعم، لابدَّ أن يتيقّن بأنّه قد أخذ بأمثل الطرق التى يعتقد فيها بفراغ ذمته بينه وبين الله من التكاليف المفروضة عليه منه تعالى، ويعتقد أنّه لا عقاب عليه ولا عتاب منه تعالى بإتّباعها وأخذ الاحكام منها، ولا يجوز أن تأخذه فى الله لومة لائم، (أيَحسَبُ

الانسَانُ أن يُترَكَ سُدىً)(١)، (بَلِ الانسَانُ عَلَى نَفسِهِ بَصِيرَةٌ)(٢)، (إنَّ هَذِهِ تَذكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ سَبيلاً) (٣).

وأوّل ما يقع التساؤل فيما بينه وبين نفسه أنّه هل يأخذ بطريقة آل البيت أو يأخذ بطريقة غيرهم؟ وإذا أخذ بطريقة آل البيت، فهل الطريقة الصحيحة طريقة الامامية الاثنى عشرية أو طريقة من سواهم من الفرق الاخرى؟ ثمّ إذا أخذ بطريقة أهل السنّة فمن يقلّد من المذاهب الاربعة أو من غيرهم من المذاهب المندرسة؟ هكذا يقع التساؤل لمن أُعطى الحريّة فى التفكير والاختيار، حتى يلتجئ من الحق إلى ركن وثيق.

ولاجل هذا وجب علينا ـ بعد ه ذا ـ أن نبحث عن الامامة، وأن نبحث عمّا يتبعها فى عقيدة الامامية الاثنى عشرية.

---

(١) القيامة: ٣۶.

(٢) القيامة: ١۴.

(٣) المزمل: ١٩.

الفصل الثالث
الامامة

عقيدتنا فى:

الامامة

عصمة الامام

صفات الامام وعلمه

طاعة الائمة

حبّ آل البيت

الائمة

إن الامامة بالنص

عدد الائمة

المهدى

الرجعة

التقيّة

ص:72

ص:73

٢٣ ـ عقيدتنا فى الامامة

نعتقد: أنّ الامامة أصل من أُصول الدين، لا يتم الايمان إلاّ بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الاباء والاهل والمربّين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر فى التوحيد والنبوّة.

وعلى الاقل أنّ الاعتقاد بفراغ ذمّة المكلّف من التكاليف الشرعية المفروضة عليه يتوقّف على الاعتقاد بها ايجاباً أو سلباً، فاذا لم تكن أصلاً من الأُصول لا يجور فيها التقليد، لكونها أصلاً، فإنّه يجب الاعتقاد بها من هذه الجهة، أى من جهة أنّ فراغ ذمة المكلّف من التكاليف المفروضة عليه قطعاً من الله تعالى واجب عقلاً، وليست كلّها معلومة من طريقة قطعية، فلا بدّ من الرجوع فيها إلى من نقطع بفراغ الذمة باتّباعه، أمّا الامام على طريقة الامامية، أو غيره على طريقة غيرهم.

كما نعتقد: أنّها كالنبوّة لطف من الله تعالى، فلابدّ أن يكون فى كل عصر إمام هاد يخلف النبى فى وظائفه من هدايق البشر،

ص:74

وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة فى النشأتين، وله ما للنبى من الولاية العامّة على الناس، لتدبير شؤونهم ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم، ورفع الظلم والعدوان من بينهم.

وعلى هذا، فالامامة استمرار للنبوة، والدليل الذى يوجب إرسال الرسل وبعث الانبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الامام بعد الرسول.

فلذلک نقول: إنّ الامامة لا تکون إلاّ بالنص من الله تعالی علی لسان النبی أو لسان الامام الذی قبله، ولیست هی بالاختیار والانتخاب من الناس، فلیس لهم إذا شاؤوا أن ینصّبوا أحداً نصّبوه، وإذا شاؤوا أن یعیّنوا إماماً لهم عیّنوه، ومتی شاؤوا أن یترکوا تعیینه ترکوه، لیصح لهم البقاء بلا إمام، بل «مَن مات ولم یعرف إمام زمانه مات میتة جاهلیّة»(۱)، علی ما ثبت ذلک عن الرسول الاعظم بالحدیث المستفیض.

وعلیه لا یجوز أن یخلو عصر من العصور من إمام مفروض

---

(۱) الکافی ۳۷۷/۱، المحاسن ۱۷۶/۱، عیون أخبار الرضا ۵۸/۲، کمال الدین: ۴۱۳، الغیبة للنعمانی: ۱۳۰، رجال الکشی ۷۲۴/۲، مسند الطیالسی: ۲۵۹، المعجم الکبیر ۳۵۰/۱۰، مستدرک الحاکم ۷۷/۱.

الطاعة منصوب من الله تعالی، سواء أبی البشر أم لم یأبوا، وسواء ناصروه أم لم یناصروه، أطاعوه أم لم یطیعوه، وسواء کان حاضراً أم غائباً عن أعین الناس، إذ کما یصح أن یغیب النبی ـ کغیبته فی الغار والشعب ـ صحّ أن یغیب الامام، ولا فرق فی حکم العقل بین طول الغیبة وقصرها.

قال الله تعالی: (وَلِکُلِّ قَوم هَاد) (۱).

وقال: (وإنْ مِنْ أمّة إلاَّ خَلا فِیها نَذِیرٌ) (۲).

۲۴ ـ عقیدتنا فی عصمة الامام

ونعتقد: أنّ الامام کالنبی یجب أن یکون معصوماً من جمیع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سنِّ الطفولة إلی الموت، عمداً وسهواً.

کما یجب أن یکون معصوماً من السهو والخطأ والنسیان، لانّ الائمة حفظة الشرع والقوّامون علیه، حالهم فی ذلک حال النبی، والدلیل الذی اقتضانا أن نعتقد بعصمة الانبیاء هو نفسه یقتضینا أن

(١) الرعد: ٧.

(٢) فاطر: ٢٤.

نعتقد بعصمة الائمة بلا فرق.

ليسَ عَلى اللهِ بمُستَنكَرِ أن يَجمعَ العالَمَ فى واحدِ(١)

٢٥ ـ عقيدتنا فى صفات الامام وعلمه

ونعتقد: أنّ الامام كالنبى يجب أن يكون أفضل الناس فى صفات الكمال: من شجاعة، وكرم، وعفّة، وصدق، وعدل، ومن تدبير، وعقل، وحكمة وخلق.

والدليل فى النبى هو نفسه الدليل فى الامام.

أمّا علمه: فهو يتلقّى المعارف والاحكام الالهية وجميع المعلومات من طريق النبى أو الامام من قبله.

وإذا استجدّ شىء لابدّ أن يعلمه من طريق الالهام بالقوة القدسية التى أودعها الله تعالى فيه، فإنّ توجّه إلى شىء وشاء أن يعلمه على وجهه الحقيقى، لا يخطئ فيه ولا يشتبه، ولا يحتاج فى كلّ ذلک إلى البراهين العقلية، ولا إلى تلقينات المعلّمين، وإن كان علمه قابلاً للزيادة والاشتداد، ولذا قال صلّى الله عليه وآله فى دعائه:

(١) البيت لابى نؤاس، راجع: دلائل الاعجاز: ١٩۶ و ۴٢۴ و ۴٢٨.

ص:77

«رَبِّ زدنی علماً».

أقول: لقد ثبت فی الابحاث النفسیّة أنّ کل انسان له ساعة أو ساعات فی حیاته قد یعلم فیها ببعض الاشیاء من طریق الحدس الذی هو فرع من الالهام، بسبب ما أودع الله تعالی فیه من قوّة علی ذلک، وهذه القوة تختلف شدّة وضعفاً وزیادة ونقیصة فی البشر باختلاف أفرادهم، فیطفر ذهن الانسان فی تلک الساعة إلی المعرفة من دون أن یحتاج إلی التفکیر وترتیب المقدّمات والبراهین أو تلقین المعلّمین، ویجد کل إنسان من نفسه ذلک فی فرص کثیرة فی حیاته.

وإذا کان الامر کذلک، فیجوز أن یبلغ الانسان من قوّته الالهامیة أعلی الدرجات وأکملها، وهذا أمر قرَّره الفلاسفة المتقدّمون والمتأخرون.

فلذلک نقول ـ وهو ممکن فی حدِّ ذاته ـ: إنّ قوّة الالهام عند الامام ـ التی تسمّی بالقوة القدسیة ـ تبلغ الکمال فی أعلی درجاته، فیکون فی صفاء نفسه القدسیة علی استعداد لتلقّی المعلومات فی کلّ وقت وفی کل حالة، فمتی توجّه إلی شیء من الاشیاء وأراد معرفته استطاع علمه بتلک القوة القدسیة الالهامیة بلا توقّف

ص:78

ولاترتیب مقدمات ولا تلقین معلّم، وتنجلی فی نفسه المعلومات کما تنجلی المرئیات فی المرآة الصافیة، لا غطش فیها ولا إبهام.

ویبدو واضحاً هذا الامر فی تاریخ الائمة (علیهم السلام) کالنبی محمّد (صلی الله علیه وآله وسلم)، فإنّهم لم یتربّوا علی أحد ولم یتعلّموا علی ید معلّم، من مبدأ طفولتهم إلی سن الرشد، حتی القراءة والکتابة، ولم یثبت عن أحدهم أنه دخل الکتاتیب أو تلمذ علی ید أستاذ فی شیء من الاشیاء، مع ما لهم من منزلة علمیة لا تجاری، وما سئلوا عن شیء إلاّ أجابوا علیه فی وقته، ولم تمر علی ألسنتهم کلمة: لا أدری، ولا تأجیل الجواب إلی المراجعة أو التأمّل أو نحو ذلک.

فی حین أنّک لا تجد شخصاً مترجماً له من فقهاء الاسلام ورواته وعلمائه إلاّ ذکرت فی ترجمته تربیته وتلمذته علی غیره، وأخذه الروایة أو العلم علی المعروفین، وتوقّفه فی بعض المسائل، أو شکّه فی کثیر من المعلومات، کعادة البشر فی کلِّ عصر ومصر.

۲۶ ـ عقیدتنا فی طاعة الائمّة

ونعتقد: أنّ الائمة هم أولو الامر الذین أمر الله تعالی بطاعتهم، وأنّهم الشهداء علی الناس، وأنّهم أبواب الله، والسبب إلیه، والادلاّء

ص:79

علیه، وأنّهم عیبة علمه، وتراجمة وحیه، وأرکان توحیده، وخزّان معرفته، ولذا کانوا أماناً لاهل الارض کما أنّ النجوم أمان لاهل السماء، علی حد تعبیره (صلی الله علیه وآله وسلم) (۱).

وکذلک علی حدّ قوله أیضاً: «إنّ مثلهم فی هذه الامّة کسفینة نوح من رکبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوی»(۲).

وأنّهم حسبما جاء فی الکتاب المجید: (بَل عِبادٌ مُکرَمُونَ لا یَسبِقُونَهُ بالقَولِ وَهُم بأمرهِ یَعمَلُون) (۳).

وأنّهم الذین أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً(۴).

بل نعتقد: أنّ أمرهم أمر الله تعالی، ونهیهم نهیه، وطاعتهم طاعته، ومعصیتهم معصیته، ووليّهم ولیّه، وعدوّهم عدوّه.

ولا یجوز الرد علیهم، والراد علیهم کالراد علی الرسول، والراد

---

(۱) صحیفة الامام الرضا(علیه السلام): ۴۷، عیون أخبار الرضا ۲۷/۲، فضائل أحمد: ۱۸۹، المعجم الکبیر ۲۵/۷، کنز العمال ۱۰۱/۱۲.

(۲) کمال الدین: ۲۳۹، عیون الاخبار لابن قتیبة: ۱، مستدرک الحاکم ۳۴۳/۲، المعجم الکبیر ۳۴/۱۲.

(٣) الانبياء: ٢٦ ـ ٢٧.

(٤) مسند أحمد ٣٣٠/١، الصواعق المحرقة: ٨٥، تفسير الطبرى ٥/٢٢، مجمع الزوائد ١٢١/٩.

ص:80

على الرسول كالراد على الله تعالى.

فيجب التسليم لهم والانقياد لامرهم والاخذ بقولهم.

ولهذا نعتقد: أنّ الاحكام الشرعيه الالهية لا تستقى إلاّ من نمير مائهم، ولا يصحّ أخذها إلاّ منهم، ولا تفرغ ذمّة المكلفَّ بالرجوع إلى غيرهم، ولا يطمئنّ بينه وبين الله إلى أنّه قد أدّى ما عليه من التكاليف المفروضة إلاّ من طريقهم.

إنّهم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق فى هذا البحر المائج الزاخر بأمواج الشبه والضلالات والادّعاءات والمنازعات.

ولا يهمّنا من بحث الامامة فى هذه العصور إثبات أنّهم هم الخلفاء الشرعيون وأهل السلطة الالهية، فإنّ ذلک أمر مضى فى ذمّة التأريخ، وليس فى إثباته ما يعيد دورة الزمن من جديد، أو يعيد الحقوق المسلوبة إلى أهلها، وإنّما الذى يهمّنا منه ما ذكرنا من لزوم الرجوع إليهم فى الاخذ بأحكام الله الشرعية، وتحصيل ما جاء به الرسول الاكرم على الوجه الصحيح الذى جاء به.

وإنّ فى أخذ الاحكام من الرواة والمجتهدين الذين لا يستقون من نمير مائهم ولا يستضيئون بنورهم، ابتعاداً عن محجّة الصواب

ص:81

فی الدین، ولا یطمئن المکلّف من فراغ ذمته من التکالیف المفروضة علیه من الله تعالی، لانّه مع فرض وجود الاختلاف فی الاراء بین الطوائف والنحل فیما یتعلّق بالاحکام الشرعیة إختلافاً لا یرجی معه التوفیق، لا یبقی للمکلّف مجال أن یتخیّر ویرجع إلی أی مذهب شاء ورأی اختار، بل لابدّ له أن یفحص ویبحث حتی تحصل له الحجة القاطعة بینه وبین الله تعالی علی تعیین مذهب خاص یتیقّن أنّه یتوصّل به إلی أحکام الله، وتفرغ به ذمّته من التکالیف المفروضة، فإنّه کما یقطع بوجود أحکام مفروضة علیه یجب أن یقطع بفراغ ذمّته منها، فان الاشتغال الیقینی یستدعی الفراغ الیقینی.

والدلیل القطعی دالّ علی وجوب الرجوع إلی آل البیت، وأنّهم المرجع الاصلی بعد النبی لاحکام الله المنزلة، وعلی الاقل قوله علیه أفضل التحیات: «إنی قد ترکت فیکم ما إن تمسّکتم به لن تضلّوا بعدی أبداً، الثقلین، وأحدهما أکبر من الاخر: کتاب الله حبل ممدود من السماء إلی الارض، وعترتی أهل بیتی، ألا وإنّهما

لن یفترقا حتی یردا علیَّ الحوض»(۱).

وهذا الحدیث اتّفقت الروایة علیه من طرق أهل السنة والشیعة.

فدقّق النظر فی هذا الحدیث الجلیل تجد ما یقنعک ویدهشک فی مبناه ومعناه، فما أبعد المرمی فی قوله: «إن تمسّکتم به لن تضلّوا بعدی أبداً»، والذی ترکه فینا هما الثقلان معاً، إذ جعلهما کأمر واحد، ولم یکتف بالتمسُّک بواحد منهما فقط، فبهما معاً لن نضل بعده أبداً.

وما أوضح المعنی فی قوله: «لن یفترقا حتی یردا علیَّ الحوض»، فلا یجد الهدایة أبداً من فرّق بینهما ولم یتمسّک بهما معاً، فلذلک کانوا: سفینة النجاة، و أماناً لاهل الارض، ومن تخلّف عنهم غرق فی لجج الضلال ولم یأمن من الهلاک.

وتفسیر ذلک بحبّهم فقط من دون الاخذ بأقوالهم واتّباع طریقهم هروب من الحق، لا یلجئ إلیه إلاّ التعصُّب والغفلة عن المنهج الصحیح فی تفسیر الکلام العربی المبین.

(١) سنن الترمذى ٦٦٣/٥، مسند أحمد ١٤/٣، سنن الدارمى ٤٣١/٢، المصنف ٤٥٢/١١، السنة لابن أبى عاصم ٣٣٦/٢، الطبقات لابن سعد ١٩٤/٢.

٢٧ ـ عقيدتنا فى حبّ آل البيت

قال الله تعالى: (قُل لاَّ أسأَلُكُم عَليهِ أجراً إلاَّ المَوَدَّةَ فى القُربى)(١).

نعتقد: أنّه زيادة على وجوب التمسّك بآل البيت، يجب على كل مسلم أن يدين بحبّهم ومودّتهم، لانّه تعالى فى هذه الاية المذكورة حصر المسؤول عليه الناس فى المودة فى القربى.

وقد تواتر عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): أنّ حبهم علامة الايمان، وأنّ بغضهم علامة النفاق (٢)، وأنّ من أحبّهم أحب الله ورسوله، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله (٣).

بل حبّهم فرض من ضروريات الدين الاسلامى التى لا تقبل الجدل والشک، وقد اتّفق عليه جميع المسلمين على اختلاف نحلهم وآرائهم، عدا فئة قليلة اعتبروا من أعداء آل محمّد، فنبزوا

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) المحاسن ١٧٦/١، أمالى الصدوق: ٣٨٤، مسند أحمد ٨٤/١، صحيح مسلم ٨٦/١، سنن الترمذى ٣٠١/٢.

(٣) أمالى الصدوق: ٣٨٤، مقتل الحسين للخوارزمى ١٠٩/١، ذخائر العقبى: ١٨، الصواعق المحرقة: ٢٦٣، كنز العمال ٩٨/١٢ و ١٠٣ و ١١٦.

باسم النواصب، أى: مَن نصبوا العداوة لال بيت محمّد، وبهذا يعدُّون من المنكرين لضرورة إسلامية ثابتة بالقطع، والمنكر للضرورة الاسلامية ـ كوجوب الصلاة والزكاة ـ يعدّ فى حكم المنكر لاصل الرسالة، بل هو على التحقيق منكر للرسالة، وإن أقرّ فى ظاهر الحال بالشهادتين.

ولاجل هذا كان بغض آل محمّد من علامات النفاق، وحبّهم من علامات الايمان، ولاجله أيضاً كان بغضهم بغضاً لله ولرسوله.

ولا شک أنّه تعالى لم يفرض حبّهم ومودّتهم إلاّ لانّهم أهل للحب والولاء، من ناحية قربهم إليه سبحانه، ومنزلتهم عنده، وطهارتهم من الشرک والمعاصى، ومن كل ما يبعد عن دار كرامته وساحة رضاه.

ولا يمكن أن نتصوّر أنّه تعالى يفرض حب من يرتكب المعاصى، أو لا يطيعه حقّ طاعته، فإنّه ليس له قرابةمع أحد أو صداقة، وليس عنده الناس بالنسبة إليه إلاّ عبيداً مخلوقين على حد سواء، وإنما أكرمهم عند الله أتقاهم.

فمن أوجب حبه على الناس كلهم لابدّ أن يكون أتقاهم وأفضلهم جميعاً، وإلاّ كان غيره أولى بذلک الحب، أو كان الله يفضّل

بعضاً على بعض فى وجوب الحب والولاية عبثاً أو لهواً بلا جهة استحقاق وكرامة.

٢٨ ـ عقيدتنا فى الائمّة

لا نعتقد فى أئمتنا عليهم أفضل الصلاة والسلام ما يعتقده الغلاة والحلوليّون، (كَبُرت كَلِمةً تَخرُجُ مِن أفواهِهِم) (١).

بل عقيدتنا الخاصّة: أنّهم بشر مثلنا، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، وإنما هم عباد مكرمون، اختصّهم الله تعالى بكرامته، وحباهم بولايته، إذ كانوا فى أعلى درجات الكمال اللائقة فى البشر: من العلم، والتقوى، والشجاعة، والكرم، والعفّة، وجميع الاخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة، لايدانيهم أحد من البشر فيما اختصوا به.

وبهذا استحقّوا أن يكونوا أئمة وهداة، ومرجعاً بعد النبى فى كلّ ما يعود للناس من أحكام وحكم، وما يرجع للدين من بيان وتشريع، وما يختص بالقرآن من تفسير وتأويل.

---

(١) الكهف: ٥.

قال إمامنا الصادق (عليه السلام): «ما جاءكم عنّا ممّا يجوز أن يكون فى المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردّوه إلينا، وما جاءكم عنّا ممّا لا يجوز أن يكون فى المخلوقين فاجحدوه ولاتردّوه إلينا»(١).

٢٩ ـ عقيدتنا فى أنّ الامامة بالنص

نعتقد: أنّ الامامة كالنبوّة، لا تكون إلاّ بالنص من الله تعالى على لسان رسوله، أو لسان الامام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الامام من بعده.

وحكمها فى ذلک حكم النبوّة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكَّموا فيمن يعيّنه الله هادياً ومرشداً لعامّة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه، لانّ الشخص الذى له من نفسه القدسية استعداد لتحمّل أعباء الامامة العامّة وهداية البشر قاطبة يجب ألا يعرف إلاّ بتعريف الله ولا يعيَّن إلاّ بتعيينه.

ونعتقد: أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) نصّ على خليفته والامام فى البرية

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ٩٢.

من بعده، فعيّن ابن عمه على بن أبى طالب أميراً للمؤمنين، وأميناً للوحى، وإماماً للخلق فى عدّة مواطن، ونصّبه، وأخذ البيعة له بإمرة المؤمنين يوم الغدير فقال: «ألا مَن كنت مولاه فهذا علىٌّ مولاه، اللّهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه كيفما دار»(١).

ومن أوّل مواطن النص على إمامته قوله حينما دعا أقرباءه الادنين وعشيرته الاقربين فقال: «هذا أخى، ووصيى، وخليفتى من بعدى، فاسمعوا له وأطيعوا»(٢)، وهو يومئذ صبى لم يبلغ الحلم.

وكرَّر قوله له فى عدّة مرّات: «أنت منّى بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبى بعدى»(٣).

إلى غير ذلک من روايات وآيات كريمة دلّت على ثبوت الولاية

---

(١) المصنف ٦٧/١٢، سنن ابن ماجة ٤٣/١، سنن الترمذى ٦٣٣/٥، مسند أحمد ١١٨/١، مستدرک الحاكم ١٠٩/٣، وللمزيد راجع كتاب الغدير: المجلد الاول.

(٢) مسند أحمد ١١١/١، خصائص النسائى: ٨٣، تفسير الطبرى ٧۴/١٩.

(٣) المصنف ۶٠/١٢، التاريخ الكبير ١١٥/١، صحيح مسلم ١٨٧٠/۴، سنن الترمذى ۶۴٠/٥، مسند أحمد ١٧٩/١.

العامّة له، كآية: (إِنَّما وَلِيُّكُم اللهُ ورَسولُهُ والَّذين آمنوا الّذِينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَ يؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم رَاكِعُونَ)(١)، وقد نزلت فيه عندما تصدَّق بالخاتم وهو راكع(٢).

ولا يساعد وضع هذه الرسالة على استقصاء كلّ ما ورد فى إمامته من الايات والروايات، ولا بيان وجه دلالتها.

ثمّ إنّه (عليه السلام) نص على إمامة الحسن والحسين، والحسين نص على إمامة ولده على زين العابدين، وهكذا إماماً بعد إمام، ينصّ المتقدّم منهم على المتأخِّر إلى آخرهم وهو أخيرهم على ما سيأتى.

٣٠ ـ عقيدتنا فى عدد الائمّة

ونعتقد: أنّ الائمّة الذين لهم صفة الامامة الحقّة، هم مرجعنا فى الاحكام الشرعية، المنصوص عليهم بالامامة اثنا عشر إماماً، نصّ عليهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) جميعاً بأسمائهم(٣)، ثمّ نصّ المتقدّم منهم على من بعده، على النحو الاتى:

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) تفسير الطبرى ١٨٦/٦، أسباب النزول: ١١٣، تفسير الرازى ٢٦/١٢.

(٣) كمال الدين: ٢٥٠ ـ ٢٥٦، عيون أخبار الرضا ٤١/١ ـ ٥١، فرائد السمطين ١٣٢/٢.

ت الكنية الاسم اللقب سنة الولادة سنة الوفاة
١ أبوالحسن على بن أبى طالب المرتضى ٢٣ ق. هـ ٤٠ هـ
٢ أبو محمد الحسن بن على الزكى ٢ هـ ٥٠ هـ
٣ أبو عبدالله الحسين بن على سيد الشهداء ٣ هـ ٦١ هـ
٤ أبو محمد على بن الحسين زين العابدين ٣٨ هـ ٩٥ هـ
٥ أبو جعفر محمد بن على الباقر ٥٧ هـ ١١٤ هـ
٦ أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق ٨٣ هـ ١٤٨ هـ
٧ أبو ابراهيم موسى بن جعفر الكاظم ١٢٨ هـ ١٨٣ هـ
٨ أبو الحسن على بن موسى الرضا ١٤٨ هـ ٢٠٣ هـ
٩ أبو جعفر محمد بن على الجواد ١٩٥ هـ ٢٢٠ هـ
١٠ أبو الحسن على بن محمد الهادى ٢١٢ هـ ٢٥٤هـ

١١ أبو محمد الحسن بن على العسكرى ٢٣٢ هـ ٢٦٠ هـ
١٢ أبو القاسم محمد بن الحسن المهدى ٢٥٦ هـ ....

وهو الحجة فى عصرنا، الغائب المنتظر، عجل الله فرجه، وسهل مخرجه؛ ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

ص:90

٣١ ـ عقيدتنا فى المهدىّ

إنّ البشارة بظهور المـهدىّ من ولد فاطمة فـى آخر الزمان ليملا الارض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، ثابتة عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتواتر، وسجّلها المسلمون جميعاً فيما رووه من الحديث عنه على اختلاف مشاربهم(١).

وليست هى بالفكرة المستحدثة عند الشيعة دفع إليها انتشار الظلم والجور فحلموا بظهور من يطهّر الارض من رجس الظلم، كما يريد أن يصوّرها بعض المغالطين غير المنصفين.

ولو لا ثبوت فكرة المهدى عن النبى على وجه عرفها جميع المسلمين وتشبَّعت فى نفوسهم واعتقدوها، لما كان يتمكّن مدّعو المهدية فى القرون الاولى ـ كالكيسانية والعباسيين، وجملة من العلويين وغيرهم ـ من خدعة الناس واستغلال هذه العقيدة فيهم طلباً للملک والسلطان، فجعلوا ادّعاءهم المهدية الكاذبة طريقاً للتأثير على العامة، وبسط نفوذهم عليهم.

---

(١) الغيبة للطوسى: ١٨٧، سنن أبى داود ١٠٧/٤، سنن ابن ماجه ١٣٦٨/٢، مستدرک الحاكم ٥٥٧/٤، سنن الترمذى ٥٠٥/٤.

ص:91

ونحن مع ايماننا بصحّة الدين الاسلامى، وأنّه خاتمة الاديان الالهية، ولا نترقَّب ديناً آخر لاصلاح البشر، ومع ما نشاهد من انتشار الظلم، واستشراء الفساد فى العالم على وجه لا تجد للعدل والصلاح موضع قدم فى الممالک المعمورة، ومع ما نرى من انكفاء المسلمين أنفسهم عن دينهم، وتعطيل أحكامه وقوانينه فى جميع الممالک الاسلامية، وعدم التزامهم بواحد من الالف من أحكام الاسلام، نحن مع كل ذلک لابدّ أن ننتظر الفرج بعودة الدين الاسلامى إلى قوّته وتمكينه من إصلاح هذا العالم المنغمس بغطرسة الظلم والفساد.

ثمّ لا يمكن أن يعود الدين الاسلامى إلى قوّته وسيطرته على البشر عامة، وهو على ما هو عليه اليوم وقبل اليوم من اختلاف معتنقيه فى قوانينه وأحكامه وفى أفكارهم عنه، وهم على ما هم عليه اليوم وقبل اليوم من البدع والتحريفات فى قوانينه والضلالات فى ادّعاءاتهم.

نعم، لا يمكن أن يعود الدين إلى قوّته إلاّ إذا ظهر على رأسه مصلح عظيم، يجمع الكلمة، ويرد عن الدين تحريف المبطلين، ويبطل ما ألصق به من البدع والضلالات بعناية ربّانية وبلطف إلهى،

ص:92

ليجعل منه شخصاً هادياً مهدياً، له هذه المنزلة العظمى، والرئاسة العامّة، والقدرة الخارقة، ليملا الارض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظملاً وجوراً.

والخلاصة: أنّ طبيعة الوضع الفاسد فى البشر البالغة الغاية فى الفساد والظلم ـ مع الايمان بصحّة هذا الدين، وأنّه الخاتمة للاديان ـ يقتضى انتظار هذا المصلح المهدى لانقاذ العالم ممّا هو فيه.

ولاجل ذلک آمنت بهذا الانتظار جميع الفرق المسلمة، بل الامم من غير المسلمين، غير أنّ الفرق بين الامامية وغيرها هو أنّ الامامية تعتقد أنّ هذا المصلح المهدى هو شخص معيّن معروف ولد سنة ٢٥٦ هجرية ولا يزال حياً، هو ابن الحسن العسكرى واسمه محمّد، وذلک بما ثبت عن النبى وآل البيت من الوعد به، وما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه.

ولا يجوز أن تنقطع الامامة وتحول فى عصر من العصور وإن كان الامام مخفياً، ليظهر فى اليوم الموعود به من الله تعالى، الذى هو من الاسرار الالهية التى لا يعلم بها إلاّ هو تعالى.

ولا يخلو من أن تكون حياته وبقاؤه هذه المدة الطويلة معجزة جعلها الله تعالى له، وليست هى بأعظم من معجزة أن يكون إماماً

ص:93

للخلق وهو ابن خمس سنين يوم رحل والده إلى الرفيق الاعلى، ولا هى بأعظم من معجزة عيسى إذ كلّم الناس فى المهد صبياً وبعث فى الناس نبياً.

وطول الحياة أكثر من العمر الطبيعى ـ أو الذى يتخيّل أنّه العمر الطبيعى ـ لا يمنع منها فن الطب ولا يحيلها، غير أنّ الطب بعد لم يتوصّل إلى ما يمكّنه من تعمير حياة الانسان، وإذا عجز عنه الطب فانّ الله تعالى قادر على كلّ شىء، وقد وقع فعلاً تعمير نوح وبقاء عيسى (عليهما السلام) كما أخبر عنهما القرآن الكريم، ولو شک الشاک فيما أخبر به القرآن فعلى الاسلام السلام.

ومن العجب أن يتساءل المسلم عن إمكان ذلک وهو يدّعى الايمان بالكتاب العزيز!!

وممّا يجدر أن نذكره فى هذا الصدد ونذكّر أنفسنا به: أنّه ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ المهدى أن يقف المسلمون مكتوفى الايدى فيما يعود إلى الحق من دينهم، وما يجب عليهم من نصرته، والجهاد فى سبيله، والاخذ بأحكامه، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر.

بل المسلم أبداً مكلّف بالعمل بما أنزل من الاحكام الشرعية،

ص:94

وواجب عليه السعى لمعرفتها على وجهها الصحيح بالطرق الموصلة إليها حقيقة، وواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ما تمكّن من ذلک وبلغت إليه قدرته، كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته.

فلا يجوز له التأخّر عن واجباته بمجرد الانتظار للمصلح المهدى والمبشّر الهادى، فإنّ هذا لا يسقط تكليفاً، ولا يؤجّل عملاً، ولا يجعل الناسَ هملاً كالسوائم.

إنّ الذى تذهب إليه الامامية ـ أخذاً بما جاء عن آل البيت (عليهم السلام)ـ أنّ الله تعالى يعيد قوماً من الاموات إلى الدنيا فى صورهم التى كانوا عليها، فيعزّ فريقاً ويذلّ فريقاً آخر، ويديل المحقّين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلک عند قيام مهدى آل محمّد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولا يرجع إلاّ من علت درجته فى الايمان، أو مَن بلغ الغاية من الفساد، ثمّ يصيرون بعد ذلک إلى الموت، ومن بعده إلى النشور وما يستحقّونه من الثواب أو العقاب، كما حكى الله تعالى فى قرآنه

الكريم تمنّى هؤلاء المرتجعين ـ الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله ـ أن يخرجوا ثالثاً لعلّهم يصلحون: (قَالوا رَبَّنا أمَّتنا اثنَتَينِ وَأحيَيتَنَا اثنَتَينِ فاعتَرَفنَا بِذُنُوبِنَا فَهَل إلى خُرُوج مِن سَبيل)(١).

نعم، قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلى الدنيا، وتظافرت بها الاخبار عن بيت العصمة، والامامية بأجمعها عليه، إلاّ قليلون منهم تأوَّلوا ما ورد فى الرجعة بأنّ معناها رجوع الدولة والامر والنهى إلى آل البيت بظهور الامام المنتظر، من دون رجوع أعيان الاشخاص وإحياء الموتى.

والقول بالرجعة يعد عند أهل السنة من المستنكرات التى يستقبح الاعتقاد بها، وكان المؤلّفون منهم فى رجال الحديث يعدّون الاعتقاد بالرجعة من الطعون فى الراوى والشناعات عليه التى تستوجب رفض روايته وطرحها، ويبدو أنّهم يعدّونها بمنزلة الكفر والشرک بل أشنع، فكان هذا الاعتقاد من أكبر ما تنبز به الشيعة الامامية، ويشنَّع به عليهم.

ولا شكّ فى أنّ هذا من نوع التهويلات التى تتّخذها الطوائف

---

(١) المؤمن: ١١.

الاسلامية ـ فيما غبر ـ ذريعة لطعن بعضها فى بعض، والدعاية ضده، ولا نرى فى الواقع ما يبرّر هذا التهويل، لانّ الاعتقاد بالرجعة لايخدش فى عقيدة التوحيد، ولا فى عقيدة النبوّة، بل يؤكد صحّة العقيدتين، إذ الرجعة دليل القدرة البالغة لله تعالى كالبعث والنشر، وهى من الامور الخارقة للعادة التى تصلح أن تكون معجزة لنبيّنا محمّد وآل بيته صلّى الله عليه وعليهم.

وهى عيناً معجزة إحياء الموتى التى كانت للمسيح (عليه السلام)، بل أبلغ هنا، لانها بعد أن يصبح الاموات رميماً (قَالَ مَن يُحـيى العِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ قُل يُحيِيهَا الَّذِى أنشأَهَا أوَّلَ مَرة وَهُو بِكُلِّ خَلق عَلِيمٌ) (١).

وأمّا من طعن فى الرجعة باعتبار أنّها من التناسخ الباطل، فلانّه لم يفرّق بين معنى التناسخ وبين المعاد الجسمانى، والرجعة من نوع المعاد الجسمانى، فإنّ معنى التناسخ هو انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر منفصل عن الاول، وليس كذلك معنى المعاد الجسمانى، فإنّ معناه رجوع نفس البدن الاول بمشخّصاته النفسية، فكذلك

---

(١) يس: ٧٨ ـ ٧٩.

الرجعة.

وإذا كانت الرجعة تناسخاً فإنّ إحياء الموتى على يد عيسى (عليه السلام)كان تناسخاً، وإذا كانت الرجعة تناسخاً كان البعث والمعاد الجسمانى تناسخاً.

إذن، لم يبق إلاّ أن يناقش فى الرجعة من جهتين:

الاولى: أنّها مستحيلة الوقوع.

الثانية: كذب الاحاديث الواردة فيها.

وعلى تقدير صحة المناقشتين، فانّه لا يعتبر الاعتقاد بها بهذه الدرجة من الشناعة التى هوّلها خصوم الشيعة.

وكم من معتقدات لباقى طوائف المسلمين هى من الامور المستحيلة، او التى لم يثبت فيها نص صحيح، ولكنّها لم توجب تكفيراً وخروجاً عن الاسلام، ولذلک أمثلة كثيرة، منها: الاعتقاد بجواز سهو النبى أو عصيانه، ومنها الاعتقاد بقدم القرآن، ومنها: القول بالوعيد، ومنها: الاعتقاد بأنّ النبى لم ينص على خليفة من بعده.

على أنّ هاتين المناقشتين لا أساس لهما من الصحّة، أمّا أنّ الرجعة مستحيلة فقد قلنا أنّها من نوع البعث والمعاد الجسمانى،

غير أنّها بعث موقوت فى الدنيا، والدليل على إمكان البعث دليل على إمكانها، ولا سبب لاستغرابها إلاّ أنّها أمر غير معهود لنا فيما ألفناه فى حياتنا الدنيا، ولا نعرف من أسبابها أو موانعها ما يقرّبها إلى اعترافنا أو يبعدها، وخيال الانسان لا يسهل عليه أن يتقبّل تصديق ما لم يألفه، وذلک كمن يستغرب البعث فيقول: (مَن يُحيِى العِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ)؟ فيقال له: (يُحيِيهَا الّذى أنشَأَهَا أوَّل مَرة وَهُوَ بِكلِّ خَلق عَلِيمٌ) (١).

نعم، فى مثل ذلک ممّا لا دليل عقلى لنا على نفيه أو إثباته، أو نتخيّل عدم وجود الدليل، يلزمنا الرضوخ إلى النصوص الدينية التى هى من مصدر الوحى الالهى، وقد ورد فى القرآن الكريم ما يثبت وقوع الرجعة إلى الدنيا لبعض الاموات، كمعجزة عيسى (عليه السلام)فى إحياء الموتى: (وَأُبرِئ الاكمَهَ وَالابرصَ وأُحيى الموتَى بإذنِ اللهِ) (٢).

وكقوله تعالى: (أَنَّى يُحيِى هَذِهِ اللهُ بَعدَ مَوتِها فأمَاتَهُ اللهُ مائَةَ

---

(١) يس: ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) آل عمران: ٤٩.

عَام ثُمَّ بَعثَهُ) (١).

والاية المتقدّمة: (قالُوا ربَّنا أمَتَّنا اثنَتَين...) (٢)، فإنّه لايستقيم معنى هذه الاية بغير الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وإن تكلَّف بعض المفسِّرين فى تأويلها بما لا يروى الغليل، ولا يحقّق معنى الاية.

وأمّا المناقشة الثانية ـ وهى دعوى أنّ الحديث فيها موضوع ـ فإنّه لا وجه لها، لانّ الرجعة من الامور الضرورية فيما جاء عن آل البيت من الاخبار المتواترة.

وبعد هذا، أفلا تعجب من كاتب شهير يدَّعى المعرفة مثل أحمد أمين فى كتابه «فجر الاسلام» إذ يقول: «فاليهودية ظهرت فى التشيّع بالقول بالرجعة»!

فأنا أقول له على مدّعاه: فاليهودية أيضاً ظهرت فى القرآن بالرجعة، كما تقدّم ذكر القرآن لها فى الايات المتقدّمة.

ونزيده فنقول: والحقيقة أنّه لابدّ أن تظهر اليهودية والنصرانية فى كثير من المعتقدات والاحكام الاسلامية، لانّ النبى الاكرم جاء

---

(١) البقرة: ٢٥٩.

(٢) المؤمن: ١١.

مصدّقاً لما بين يديه من الشرائع السماوية وإن نسخ بعض أحكامها، فظهور اليهودية أو النصرانية فى بعض المعتقدات الاسلامية ليس عيباً فى الاسلام، على تقدير أنّ الرجعة من الاراء اليهودية كما يدّعيه هذا الكاتب.

وعلى كلّ حال، فالرجعة ليست من الاصول التى يجب الاعتقاد بها والنظر فيها، وإنّما اعتقادنا بها كان تبعاً للاثار الصحيحة الواردة عن آل البيت (عليهم السلام) الذين ندين بعصمتهم من الكذب، وهى من الامور الغيبية التى أخبروا عنها، ولا يمتنع وقوعها.

روى عن صادق آل البيت (عليه السلام) فى الاثر الصحيح: «التقيّة دينى ودين آبائى»(١)، و «من لا تقيّة له لادين له»(٢).

وكذلک هى، لقد كانت شعاراً لال البيت (عليهم السلام)، دفعاً للضرر عنهم وعن أتباعهم، وحقناً لدمائهم، واستصلاحاً لحال المسلمين، وجمعاً لكلمتهم، ولمّاً لشعثم.

---

(١) الكافى ١٧۴/٢، المحاسن ٣٩٧/١.

(٢) الكافى ١٧٢/٢، الفقه المنسوب للامام الرضا (عليه السلام): ٣٣٨.

وما زالت سمة تعرف بها الامامية دون غيرها من الطوائف والامم، وكلّ انسان إذا أحسَّ بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التظاهر به لابدَّ أن يتكتَّم ويتّقى فى مواضع الخطر، وهذا أمر تقضيه فطرة العقول.

ومن المعلوم أنّ الامامية وأئمّتهم لاقوا من ضروب المحن وصنوف الضيق على حرياتهم فى جميع العهود ما لم يلاقه أيّة طائفة أو أُمَّة أخرى، فاضطرّوا فى أكثر عهودهم إلى استعمال التقيّة بمكاتمة المخالفين لهم، وترک مظاهرتهم، وستر اعتقاداتهم وأعمالهم المختصة بهم عنهم ; لما كان يعقب ذلک من الضرر فى الدين والدنيا، ولهذا السبب امتازوا بالتقية وعرفوا بها دون سواهم.

وللتقيّة أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر، مذكورة فى أبوابها فى كتب العلماء الفقهية.

وليس هى بواجبة على كلّ حال، بل قد يجوز أو يجب خلافها فى بعض الاحوال، كما إذا كان فى إظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للاسلام وجهاد فى سبيله، فإنّه عند ذلک يستهان بالاموال ولا تعزّ النفوس.

وقد تحرم التقيّة فى الاعمال التى تستوجب قتل النفوس

ص:102

المحترمة، أو رواجاً للباطل، أو فساداً فى الدين، أو ضرراً بالغاً على المسلمين بإضلالهم، أو إفشاء الظلم والجور فيهم.

وعلى كلّ حال، ليس معنى التقيّة عند الامامية أنّها تجعل منهم جمعية سرّية لغاية الهدم والتخريب، كما يريد أن يصوّرها بعض أعدائهم غير المتورّعين فى إدراك الامور على وجهها، ولا يكلّفون أنفسهم فهم الرأى الصحيح عندنا.

كما أنّه ليس معناها أنها تجعل الدين وأحكامه سرّاً من الاسرار لا يجوز أن يذاع لمن لا يدين به، كيف وكتب الامامية ومؤلّفاتهم فيما يخص الفقه والاحكام ومباحث الكلام والمعتقدات قد ملات الخافقين، وتجاوزت الحد الذى ينتظر من أيّة أمّة تدين بدينها؟!

بلى، إنّ عقيدتنا فى التقيّة قد استغلّها من أراد التشنيع على الامامية، فجعلوها من جملة المطاعن فيهم، وكأنّهم كان لا يشفى غليلهم إلاّ أن تقدَّم رقابهم إلى السيوف لاستئصالهم عن آخرهم فى تلك العصور التى يكفى فيها أن يقال هذا رجل شيعى ليلاقى حتفه على يد أعداء آل البيت من الامويين والعباسيين، بله العثمانيين.

وإذا كان طعن من أراد أن يطعن يستند إلى زعم عدم مشروعيتها من ناحية دينية، فإنّا نقول له:

ص:103

أولاً: إنّنا متّبعون لائمتنا (عليهم السلام) ونحن نهتدى بهداهم، وهم أمرونا بها، وفرضوها علينا وقت الحاجة، وهى عندهم من الدين، وقد سمعت قول الصادق (عليه السلام): «من لا تقيّة له لا دين له».

وثانياً: قد ورد تشريعها فى نفس القرآن الكريم، ذلک قوله تعالى: (إلاَّ مَن أكرِهَ وَقلبُهُ مُطمَئِنٌ بالايمَان)(١)، وقد نزلت هذه الاية فى عمّار بن ياسر الذى التجأ إلى التظاهر بالكفر خوفاً من أعداء الاسلام(٢).

وقوله تعالى: (إلاَّ أن تَتَّقوُا مِنهُم تُقَاةً) (٣).

وقوله تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مؤُمِنٌ مِن ءالِ فِرعَونَ يَكتُمُ إيمَانَهُ) (۴).

---

(۱) النحل: ۱۰۶.

(۲) التبيان فى تفسير القرآن ۴۲۸/۶، مجمع البيان فى تفسير القرآن ۳۸۷/۳، التفسير الكبير ۱۲۰/۱۹، جامع البيان ۱۲۲/۱۴.

(۳) آل عمران: ۲۸.

(۴) المؤمن: ۲۸.

ص:104

ص:105

الفصل الرابع
ما أدّب به آل البيت شيعتهم

تمهيد

عقيدتنا فى الدعاء:

الدعاء

أدعية الصحيفة السجادية

زيارة القبور

معنى التشيع عند آل البيت (عليهم السلام)

الجور والظلم

التعاون مع الظالمين

الوظيفة فى الدولة الظالمة

الدعوة إلى الوحدة الاسلامية

حق المسلم على المسلم

ص:106

ص:107

تمهيد:

إنّ الائمّة من آل البيت (عليهم السلام) علموا من ذى قبل أنّ دولتهم لن تعود إليهم فى حياتهم، وأنّهم وشيعتهم سيبقون تحت سلطان غيرهم ممّن يرى ضرورة مكافحتهم بجميع وسائل العنف والشدّة.

فكان من الطبيعى ـ من جهة ـ أن يتّخذوا التكتّم «التقيّة» ديناً وديدناً لهم ولاتباعهم، مادامت التقيّة تحقن من دمائهم، ولا تسيء إلى الاخرين ولا إلى الدين، ليستطيعوا البقاء فى هذا الخضم العجّاج بالفتن، والثائر على آل البيت بالاحن.

وكان من اللازم بمقتضى إمامتهم ـ من جهة أُخرى ـ أن ينصرفوا إلى تلقين أتباعهم أحكام الشريعة الاسلامية، وإلى توجيههم توجيهاً دينيّاً صالحاً، وإلى أن يسلكوا بهم مسلكاً اجتماعياً مفيداً، ليكونوا مثال المسلم الصحيح العادل.

وطريقة آل البيت فى التعليم لا تحيط بها هذه الرسالة، وكتب الحديث الضخمة متكفلة بما نشروه من تلك المعارف الدينية، غير أنّه لابأس أن نشير هنا إلى بعض ما يشبه أن يدخل فى باب العقائد

فيما يتعلّق بتأديبهم لشيعتهم بالاداب التى تسلك بهم المسلك الاجتماعى المفيد، وتقرِّبهم زلفى إلى الله تعالى، وتطهِّر صدورهم من درن الاثام والرذائل، وتجعل منهم عدولاً صادقين.

وقد تقدّم الكلام فى التقيّة التى هى من تلك الاداب المفيدة اجتماعياً لهم، ونحن ذاكرون هنا بعض ما يعنُّ لنا من هذه الاداب.

٣۴ ـ عقيدتنا فى الدعاء

قال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، نور السماوات والارض»(١)، وكذلك هو أصبح من خصائص الشيعة التى امتازوا بها، وقد أَلّفوا فى فضله وآدابه، وفى الادعية المأثورة عن آل البيت ما يبلغ عشرات الكتب، من مطوّلة ومختصرة، وقد أُودع فى هذه الكتب ما كان يهدف إليه النبى وآل بيته صلّى الله عليهم وسلّم من الحث على الدعاء والترغيب فيه، حتى جاء عنهم: «أفضل العبادة الدعاء»(٢)، و: «أحب الاعمال إلى الله عزّوجل

---

(١) الكافى ٣٣٩/٢.

(٢) الكافى ٣٣٨/٢.

فى الارض الدعاء»(١).

بل ورد عنهم: «إنّ الدعاء يردّ القضاء والبلاء»(٢)، و: أنّه «شفاء من كل داء»(٣).

وقد ورد أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان رجلاً دعّاءً(۴)، أى: كثير الدعاء، وكذلک ينبغى أن يكون وهو سيِّد الموحِّدين وإمام الالهيين.

وقد جاءت أدعيته كخطبه آية من آيات البلاغة العربية، كدعاء كميل بن زياد المشهور(۵)، وقد تضمَّنت من المعارف الالهية والتوجيهات الدينية مايصلح أن تكون منهجاً رفيعاً للمسلم الصحيح.

وفى الحقيقة، إنّ الادعية الواردة عن النبى وآل بيته عليهم الصلاة والسلام خير منهج للمسلم إذا تدبّرها، تبعث فى نفسه قوّة

---

(١) الكافى ٣٣٩/٢.

(٢) الكافى ٣۴١/٢.

(٣) الكافى ٣۴١/٢.

(۴) الكافى ٣٣٩/٢.

(۵) مصباح المتهجد: ٨۴۴.

الايمان والعقيدة وروح التضحية فى سبيل الحق، وتعرِّفه سرَّ العبادة ولذّة مناجاة الله تعالى والانقطاع إليه، وتلقَّنه ما يجب على الانسان أن يعلمه لدينه، وما يقرِّبه إلى الله تعالى زلفى، ويبعده عن المفاسد والاهواء والبدع الباطلة.

وبالاختصار، إنّ هذه الادعية قد أُودعت فيها خلاصة المعارف الدينية من الناحية الخلقية والتهذيبية للنفوس، ومن ناحية العقيدة الاسلامية، بل هى من أهم مصادر الاراء الفلسفية، والمباحث العلمية فى الالهيات والاخلاقيات.

ولو استطاع الناس ـ وما كلهم بمستطيعين ـ أن يهتدوا بهذا الهدى الذى تثيره هذه الادعية فى مضامينها العالية، لما كنت تجد من هذه المفاسد ـ المثقلة بها الارض ـ أثراً، ولحلَّقت هذه النفوس المكبَّلة بالشرور فى سماء الحق حرّة طليقة، ولكن أنّى للبشر أن يصغى إلى كلمة المصلحين والدعاة إلى الحق، وقد كشف عنهم قوله تعالى: (إنَّ النَّفسَ لامَّارَةٌ بِالسُّوءِ) (١)، (وَمَا أكثَرُ النَّاسِ وَلَو حَرَصتَ بمُؤمِنِينَ) (٢).

---

(١) يوسف: ٥٣.

(٢) يوسف: ١٠٣.

نعم، إنّ ركيزة السوء فى الانسان اغتراره بنفسه، وتجاهله لمساوئه، ومغالطته لنفسه فى أنّه يحسن صنعاً فيما اتّخذ من عمل، فيظلم ويتعدّى، ويكذب ويراوغ، ويطاوع شهواته ما شاء له هواه، ومع ذلک يخادع نفسه أنّه لم يفعل إلاّ ما ينبغى أن يفعل، أو يغضّ بصره متعمداً عن قبيح ما يصنع ويستصغر خطيئته فى عينه.

وهذه الادعية المأثورة التى تستمدّ من منبع الوحى تجاهد أن تحمل الانسان على الاختلاء بنفسه، والتجرّد إلى الله تعالى، لتلقّنه الاعتراف بالخطأ، وأنّه المذنب الذى يجب عليه الانقطاع إلى الله تعالى لطلب التوبة والمغفرة، ولتلمّسه مواقع الغرور والاجترام فى نفسه، ومثل أن يقول الداعى من دعاء كميل بن زياد:

«إلهی ومَولای، أجریتَ علیَّ حُکماً اتَّبعتُ فیهِ هوی نفسِی، وَلم أحترَس فیهِ من تَزیینِ عدوِّی، فغرَّنی بِما أهوی، وَاسعدهُ علی ذلک القضاءُ، فتجاوزتُ بما جری علیَّ من ذلک بعضَ حدودکَ، وخالفتُ بعضَ أوامرِکَ»(۱).

ولا شک أنّ مثل هذا الاعتراف فی الخلوة أسهل علی الانسان

---

(۱) مصباح المتهجد: ۸۴۴.

من الاعتراف علانیة مع الناس، وإن کان من أشق أحوال النفس أیضاً، وإن کان بینه وبین نفسه فی خلواته، ولو تم ذلک للانسان فله شأن کبیر فی تخفیف غلواء نفسه الشریرة، وترویضها علی طلب الخیر.

ومن یرید تهذیب نفسه لابدّ أن یصنع لها هذه الخلوة، والتفکیر فیها بحریة لمحاسبتها، وخیر طریق لهذه الخلوة والمحاسبة أن یواظب علی قراءة هذه الادعیة المأثورة التی تصل بمضامینها إلی أغوار النفس، مثل أن یقرأ فی دعاء أبی حمزة الثمالی(۱) رضوان الله تعالی علیه:

«أی ربِّ، جلّلنی بسترِکَ، واعفُ عن توبیخی بکرمِ وجهِکَ».

فتأمّل کلمة «جلّلنی...»، فإنّ فیها ما یثیر فی النفس رغبتها فی کتم ما تنطوی علیه من المساوئ، لیتنبّه الانسان إلی هذه الدخیلة فیها، ویستدرجه إلی أن یعترف بذلک حین یقرأ بعد ذلک:

«فلو اطّلع الیومَ علی ذنبی غیرکَ ما فعلتُه، ولو خفتُ تعجیلَ العقوبةِ لاجتنبتُه».

---

(۱) مصباح المتهجد: ۵۸۲.

ص:113

وهذا الاعتراف بدخيلة النفس وانتباهه إلى الحرص على كتمان ما عنده من المساوئ يستثيران الرغبة فى طلب العفو والمغفرة من الله تعالى، لئلاّ يفتضح عند الناس لو أراد الله أن يعاقبه فى الدنيا أو الاخرة على أفعاله، فيلتذ الانسان ساعتئذ بمناجاة السر، وينقطع إلى الله تعالى، ويحمده أنّه حلم عنه وعفا عنه بعد المقدرة فلم يفضحه، إذ يقول فى الدعاء بعدما تقدّم:

«فَلکَ الحمدُ علیٰ حلمِکَ بعدَ علمِکَ، وعلی عفوِکَ بعدَ قُدرتِکَ».

ثم يوحى الدعاء إلى النفس سبيل الاعتذار عمّا فرط منها على أساس ذلک الحلم والعفو منه تعالى، لئلاّ تنقطع الصلة بين العبد وربّه، ولتلقين العبد أنّ عصيانه ليس لنكران الله واستهانة بأوامره، إذ يقول:

«ويحملُنی ویجرِّئنی علی معصِیتکَ حلمُکَ عنّی، ویدعونی إلی قلّةِ الحیاءِ سترُکَ علیَّ، ویسرِّعنی إلی التوثُّبِ علی محارمِکَ معرفَتِی بسَعةِ رحمتِکَ وعظیمِ عفوِکَ».

وعلى أمثال هذا النمط تنهج الادعية فى مناجاة السرّ، لتهذيب النفس، وترويضها على الطاعات وترک المعاصى.

ولا تسمح الرسالة هذه بتكثير النماذج من هذا النوع، وما

ص:114

أكثرها.

ويعجبنى أن أورد بعض النماذج من الادعية الواردة باسلوب الاحتجاج مع الله تعالى لطلب العفو والمغفرة، مثل ما تقرأ فى دعاء كميل بن زياد:

«ولیتَ شِعری یا سیّدِی ومولایَ، أتسلّطُ النارَ علی وجوه خرَّت لعظمتِکَ ساجدةً، وعلی ألسُن نطقت بتوحیدِکَ صادقةً، وبشکرِکَ مادِحةً، وعلی قلوب اعترفتَ بالهیّتِک محققةً، وعلی ضمائِرَ حوت مِنَ العلم بکَ حتّی صارت

خاشعَةً، وعلى جوارحَ سعَت إلى أوطانِ تعبُّدِكِ طائعةً، وأشارت باستغفارِكَ مذعنةً؟! ما هكذا الظنُّ بكَ، ولا أُخبرنَا بفضلِكَ».

كرّر قراءة هذه الفقرات، وتأمَّل فى لطف هذا الاحتجاج وبلاغته وسحر بهانه، فهو فى الوقت الذى يوحى للنفس الاعتراف بتقصيرها وعبوديّتها، يلقِّنها عدم اليأس من رحمة الله تعالى وكرمه، ثم يكلِّم النفس بابن عم الكلام، ومن طرف خفى، لتلقينها واجباتها العليا، إذ يفرض فيها أنها قدّ قامت بهذه الواجبات كاملة، ثمّ يعلِّمها أنّ الانسان بعمل هذه الواجبات يستحق التفضل من الله بالمغفرة، وهذا ما يشوِّق المرء إلى أن يرجع إلى نفسه فيعمل ما يجب أن

يعمله إن كان لم يؤدّ تلك الواجبات.

ثمّ تقرأ أُسلوباً آخر من الاحتجاج من نفس الدعاء:

«فهبنى يا إلهى وسيِّدى وربِّى صبرتُ على عذابِكَ فَكيفَ أصبرُ على فراقِكَ، وهبنى يا إلهى صبرتُ على حرِّ نارِكَ فكيفَ أصبرُ عن النظرِ إلى كَرامتِكَ».

وهذا تلقين للنفس بضرورة الالتذاذ بقرب الله تعالى، ومشاهدة كرامته وقدرته، حبّاً له وشوقاً إلى ما عنده، وبأنّ هذا الالتذاذ ينبغى أن يبلغ من الدرجة على وجه يكون تأثير تركه على النفس أعظم من العذاب وحرّ النار، فلو فرض أنّ الانسان تمكَّن من أن يصبر على حر النار فإنّه لا يتمكَّن من الصبر على هذا الترک، كماتفهمنا هذه الفقرات أنّ هذا الحب والالتذاذ بالقرب من المحبوب المعبود خير شفيع للمذنب عند الله لان يعفو ويصفح عنه.

ولا يخفى لطف هذا النوع من التعجُّب والتملّق إلى الكريم الحليم قابل التوب وغافر الذنب.

ولا بأس فى أن نختم بحثنا هذا بإيراد دعاء مختصر جامع لمكارم الاخلاق، ولما ينبغى لكلّ عضو من الانسان وكلّ صنف منه أن يكون عليه من الصفات المحمودة:

«أللّهُمَّ ارزُقنا توفيقَ الطاعة، وبعدَ المعصية، وصدقَ النيّة، وعرفانَ الحرمة، وأكرِمنا بالهدَى والاستقامهِ، وسدِّد ألسنتَنا بالصواب والحكمة، واملا قلوبنا بالعلم والمعرفة، وطهِّر بطوننا من الحرام والشبهة، واكفُف أيديَنا عن الظلم والسرقة، واغضض أبصارَنا عن الفجور والخيانة، واسدُد أسماعَنا عن اللغو والغيبة، وتفضَّل على علمائِنا بالزهدِ والنصيحة، وعلى المتعلِّمينَ بالجُهدِ والرغبة، وعلى المستمعينَ بالاتِّباعِ والموعظة، وعلى مرضَى المسلمينَ بالشفاءِ والراحة، وعلى موتاهُم بالرأفة والرحمة، وعلى مشايخنا بالوقارِ والسكينة، وعلى الشباب بالانابة والتوبة، وعلى النساءِ بالحياءِ والعفَّة، وعلى الاغنياءِ بالتواضُعِ والسعَة، وعلى الفقراءِ بالصبرِ والقناعة، وعلى الغزاة بالنصرِ والغلبة، وعلى الاسَراءِ بالخلاصِ والراحَة، وعلى الامَراءِ بالعدلِ والشفقَة، وعلى الرعيّة بالانصافِ وحسنِ السيرة، وبارك للحجَّاجِ والزوَّارِ فى الزادِ والنفقة، واقضِ ما أوجبتَ عليهم منَ الحجِّ والعمرة، بفضلِكَ ورحمتِكَ يا أرحَمَ الراحمينَ»(١).

---

(١) البلد الامين: ٣۴٩.

وإنّى لموص اخوانى القرّاء ألاّ تفوتهم الاستفادة من تلاوة هذه الادعية، بشرط التدبُّر فى معانيها ومراميها، وإحضار القلب والاقبال والتوجه إلى الله بخشوع وخضوع، وقراءتها كأنّها من إنشائه للتعبير بها عن نفسه، مع اتّباع الاداب التى ذكرت لها من طريقة آل البيت، فإنّ قراءتها بلا توجّه من القلب صرف لقلقة فى اللسان، لا تزيد الانسان معرفة، ولا تقرِّبه زلفى، ولا تكشف له مكروباً، ولا يستجاب معه له دعاء.

«إنّ الله عزّوجلّ لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فاذا دعوت فأقبل بقلبك ثمّ استيقن بالاجابة»(١).

٣۵ ـ أدعية الصحيفة السجّادية

بعد واقعة الطف المحزنة، وتملُّک بنى أميّة ناصية أمر الامَّة الاسلامية ـ فأوغلوا فى الاستبداد، وولغوا فى الدماء، واستهتروا فى تعاليم الدين ـ بقى الامام زين العابدين وسيِّد الساجدين (عليه السلام)جليس داره محزوناً ثاكلاً، وجليس بيته لا يقربه أحد، ولا يستطيع

(١) الكافى ٣٤٣/٢.

ص:118

أن يفضى إلى الناس بما يجب عليهم وما ينبغى لهم.

فاضطرّ أن يتّخذ من أسلوب الدعاء ـ الذى قلنا أنّه أحد الطرق التعليمىّ لتهذيب النفوس ـ ذريعة لنشر تعاليم القرآن، وآداب الاسلام، وطريقة آل البيت، ولتلقين الناس روحية الدين والزهد، وما يجب من تهذيب النفوس والاخلاق.

وهذه طريقة مبتكرة له فى التلقين، لا تحوم حولها شبهة المطاردين له، ولا تقوم بها عليه الحجّة لهم، فلذلک أكثر من هذه الادعية البليغة.

وقد جمعت بعضها «الصحيفة السجادية» التى سميت بـ «زبور آل محمّد»، وجاءت فى أُسلوبها ومراميها فى أعلى أساليب الادب العربى، وفى اسمى مرامى الدين الحنيف، وأدق أسرار التوحيد والنبوّة، وأصح طريقة لتعليم الاخلاق المحمدية والاداب الاسلامية.

وكلفت فى مختلف الموضوعات التربوية الدينية، فهى تعليم للدين والاخلاق فى أسلوب الدعاء، أو دعاء فى أُسلوب تعليم للدين والاخلاق، وهى بحقّ ـ بعد القرآن، ونهج البلاغة ـ من أعلى أساليب البيان العربى، وأرقى المناهل الفلسفية فى الالهيات

ص:119

والاخلاقيات:

فمنها: ما يعلّمک كيف تمجِّد الله وتقدّسه، وتحمده وتشكره، وتتوب إليه.

ومنها: ما يعلّمک کیف تناجیه، وتخلو به بسرّک، وتنقطع إلیه.

ومنها: ما یبسط لک معنی الصلاة علی نبیّه ورسله وصفوته من خلقه، وکیفیتها.

ومنها: ما یفهمک ما ینبغی أن تبرّ به والدیک.

ومنها: ما یشرح لک حقوق الوالد علی ولده، أو حقوق الولد علی والده، أو حقوق الجیران، أو حقوق الارحام، أو حقوق المسلمین عامّة، أو حقوق الفقراء علی الاغنیاء وبالعکس.

ومنها: ما ینبّهک علی ما یجب ازاء الدیون للناس علیک، وما ینبغی أن تعمله فی الشؤون الاقتصادیة والمالیة، وما ینبغی أن تعامل به أقرانک وأصدقاءک وکافّة الناس، ومن تستعملهم فی مصالحک.

ومنها: ما یجمع لک بین جمیع مکارم الاخلاق، ویصلح أن یکون منهاجاً کاملاً لعلم الاخلاق.

ومنها: ما یعلّمک کیف تصبر علی المکاره والحوادث، وکیف

تلاقی حالات المرض والصحّة.

ومنها: ما یشرح لک واجبات الجیوش الاسلامیة، وواجبات الناس معهم، إلی غیر ذلک ممّا تقتضیه الاخلاق المحمَّدیة والشریعة الالهیة، وکلّ ذلک بأُسلوب الدعاء وحده.

والظاهرة التی تطغو علی أدعیة الامام عدّة أمور:

الاول: التعریف بالله تعالی وعظمته وقدرته، وبیان توحیده وتنزیهه بأدق التعبیرات العلمیة، وذلک یتکرّر فی کلّ دعاء بمختلف الاسالیب، مثل ما تقرأ فی الدعاء الاوّل:

«الحَمدُ لله الاوَّل بلا أوَّل کانَ قبلَهُ، والاخِرُ بلا آخِر یکونُ بعدهُ، الذی قَصُرت عن رؤیتِهِ أبصارُ الناظِرینَ، وعَجَزَت عن نعتِهِ أوهامُ الواصفینَ، إبتدَعَ بقدرتِهِ الخلقَ ابتداعاً، واخترعَهُم علی مشیئتِه اختِراعاً».

فتقرأ دقیق معنی الاول والاخر، وتنزُّه الله تعالی عن أن یحیط به بصر أو وهم، ودقیق معنی الخلق والتکوین.

ثمّ تقرأ اسلوباً آخر فی بیان قدرته تعالی وتدبیره فی الدعاء ۶:

«الحمدُ لله الَّذی خَلقَ اللیلَ والنهارَ بقوَّتِهِ، ومیَّز بینَهما بقدرتِهِ، وجعَلَ لکلٍّ منهُما حدّاً محدوداً، یُولجُ کلَّ واحد منهما فی صاحِبه،

ص:121

ویولجُ صاحبَهُ فیهِ، بتقدیر منهُ للعبادِ فیما یَغذوهُم بهِ، ویُنشئَهم علیهِ، فخلقَ لهم اللیلَ لیسکُنوا فیهِ من حرکاتِ التعبِ ونهضاتِ النصبِ، وجعلَهُ لباساً لیلبسُوا مِن راحَتِهِ ومقامِهِ، فیکونُ ذلکَ لهُم جمَاماً وقوَّةً، لِینالُوا به لذَةً وشهوةً».

إلی آخر ما یذکر من فوائد خلق النهار واللیل، وما ینبغی أن یشکره الانسان من هذه النعم.

وتقرأ أُسلوباً آخر فی بیان أنّ جمیع الامور بیده تعالی فی الدعاء ۷:

«یَا مَن تُحَلُّ بهِ عُقدُ المکارِهِ، وَیا من یُفثأُ بهِ حدُّ الشدائِدِ، وَیا مَن یُلتمَسُ منهُ المخَرجُ إلی روحِ الفرَجِ، ذلّتَ لقدرتِکَ الصعابُ، وتسبَّبَت بلطفِکَ الاسبابُ، وجرَی بقُدرَتِکَ القضاءُ، ومضَت علی إرادَتِکَ الاشیاءُ، فَهی بمشیئَتِکَ دونَ قولِکَ مؤتمرةٌ، وبإرادتِکَ دونَ نهیکَ منزجزةٌ ».

الثانی: بیان فضل الله تعالی علی العبد، وعجز العبد عن أداء حقّه مهما بالغ فی الطاعة والعبادة، والانقطاع إلیه تعالی، کما تقرأ فی الدعاء ۳۷:

«اللّهمَّ إنّ أحداً لا یبلُغُ مِن شکرِکَ غایةً إلاّ حصَلَ علیهِ من

ص:122

إحسانِکَ ما یُلزِمُهُ شُکراً، ولا یبلُغُ مبلغاً من طاعَتِکَ وإن اجتهَدَ إلاّ کانَ مقصراًّ دونَ استحقاقِکَ بفضلِکَ، فأشکَرُ عبادِکَ عاجزٌ عن شکرِکَ، وأعبدُهُم مقصِّرٌ عن طاعَتِکَ».

وبسبب عظم نِعم الله تعالی علی العبد التی لا تتناهی یعجز عن شکره، فکیف إذا کان یعصیه مجترئاً، فمهما صنع بعدئذ لا یستطیع أن یکفِّر عن معصیة واحدة، وهذا ما تصوّره الفقرات الاتیة من الدعاء ۱۶:

«يَا إلهى لَو بكيتُ إليکَ حتّى تسقُطُ أشفارُ عينَىّ، وانتحبتُ حتّى ينقطعَ صوتِى، وقمتُ لکَ حتّى تتنشّرَ قدَماىَ، وركعتُ لکَ حتّى ينخلعَ صُلبى، وسجدتُ لکَ حتّى تتفقّأَ حدقتاىَ، وأكلتُ ترابَ الارضِ طولَ عمرى، وشربتُ ماءَ الرمادِ آخرَ دهرِى، وذكرتُکَ فى خلالِ ذلکَ حتّى يكلَّ لسانى، ثمّ لم أرفع طرفِى إلى آفاقِ السماءِ استحياءً منکَ، ما استوجبتُ بذلکَ محوَ سيِّئة واحدة من سيّئاتى».

الثالث: التعريف بالثواب والعقاب والجنة والنار، وأنّ ثواب الله تعالى كلّه تفضُّل، وأنّ العبد يستحق العقاب منه بأدنى معصية يجترئ بها، والحجّة عليه فيها لله تعالى.

وجميع الادعية السجّادية تلهج بهذه النغمة المؤثّرة، للايحاء

إلى النفس الخوف من عقابه تعالى، والرجاء فى ثوابه، وكلها شواهد على ذلک بأساليبها البليغة المختلفة التى تبعث فى قلب المتدبّر الرعب والفزع من الاقدام على المعصية، مثل ما تقرأ فى الدعاء ۴۶:

«حجّتکَ قائمةٌ لا تدحضُ، وسلطانکَ ثابتٌ لا يزولُ، فالويلُ الدائمُ لمن جنحَ عنکَ، والخيبةُ الخاذلةُ لمن خابَ منکَ، والشقاءُ الاشقى لمن اغترَّ بکَ، ما أكثرَ تصرّفُهُ فى عذابِکَ، وما أطولَ تردُّدُه فى عقابِکَ، وما أبعد غايتُه من الفرجِ، وما أقنطَهُ من سهولَةِ المخرجِ، عدلاً من قضائِکَ لا تجورُ فيهِ، وإنصافاً من حكمکَ لا تحيفُ عليهِ، فقد ظاهرتَ الحججَ، وأبليت الاعذارَ».

ومثل ما تقرأ فى الدعاء ۳۱:

«اللّهمَّ فارحم وحدتِى بينَ يديکَ، ووجيبَ قلبى من خشيتِکَ، واضطرابَ أركانى من هيبتکَ، فقد أقامتنى ـ يا ربِّ ـ ذنوبى مقامَ الخزى بفنائِکَ، فإن سكتُّ لم ينطق عنّى أحدٌ، وإن شفعتُ فلستُ بأهلِ الشفاعةِ».

ومثل ما تقرأ فى الدعاء ۳۹:

«فإنّکَ إن تكافـنى بالحقِّ تهلكنى، وإلاّ تَغَمَّدنى برحمتکَ

توبقنی... وأستحملک من ذنوبی ما قد بهظَنی حملُهُ، واستعینُ بکَ علی ما قد فدحنی ثقلُه، فصلِّ علی محمّد وآله، وهب لِنفسِی علی ظلمها نفسی، ووکِّل رحمتکَ باحتمالِ إصری».

الرابع: سوق الداعی بهذه الادعیة إلی الترفّع عن مساوئ الافعال وخسائس الصفات، لتنقیة ضمیره وتطهیر قلبه، مثل ما تقرأ فی الدعاء ۲۰:

«اللّهمَّ وفِّر بلطفک نیّتی، وَصَحِّح بما عندکَ یقینی، واستصلح بقدرتکَ ما فسدَ منّی...

اللّهمَّ صلِّ علی محمّد وآلِ محمّد، ومتِّعنی بهدیً صالح لا استبدلُ به، وطریقةِ حقٍّ لا أزیغُ عنها، ونیّةِ رشد لا أشکُّ فیها.

اللّهمَّ لا تدع خصلةً تُعابُ منّی إلاّ أصلحتَها، ولا عائبةً أؤنَّبُ بها إلاّ حسَّنتَها، ولا أکرومةً فیَّ ناقصةً إلاّ أتممتَها».

الخامس: الایحاء إلی الداعی بلزوم الترفُّع عن الناس وعدم التذلّل لهم، وألاّ یضع حاجته عند أحد غیر الله، وأنّ الطمع بما فی أیدی الناس من أخسِّ ما یتّصف به الانسان، مثل ما تقرأ فی الدعاء ۲۰:

«ولا تفتنّی بالاستعانةِ بغیرکَ إذا اضطررتُ، ولا بالخشوع

لسؤالِ غیرکَ إذا افتقرتُ، ولا بالتضرُّع إلی من دونکَ إذا رهبتُ، فأستحقَّ بذلکَ خذلانَکَ ومنعَکَ واعراضَکَ».

ومثل ما تقرأ فی الدعاء ۲۸:

«اللّهمَّ إنّی أخلصتُ بانقطاعی إلیکَ، وصرفتُ وجهی عمَّن یحتاجُ إلی رفدکَ، وقلبتُ مسألتی عمّن لم یستغن عن فضلکَ، ورأیتُ أنّ طلبَ المحتاجِ إلی المحتاجِ سَفَهٌ من رأیهِ، وضلَّةٌ من عقلِهِ».

ومثل ما تقرأ فی الدعاء ۱۳:

«فَمَن حاوَلَ سدّ خلّتِهِ من عندِکَ، ورامَ صرفَ الفقرَ عَن نفسِهِ بکَ، فقد طلبَ حاجَتَه فی مظانِّها، وأتی طلبتَهُ من وجهِها، ومن توجَّهَ بحاجتِهِ إلی أحد من خلقِکَ، أو جعلَهُ سببَ نُجحِها دونَک، فقد تعرَّض للحرمانِ، واستحقَّ منکَ فوتَ الاحسانِ».

السادس: تعليم الناس وجوب مراعاة حقوق الاخرين، ومعاونتهم، والشفقة والرأفة من بعضهم لبعض، والايثار فيما بينهم، تحقيقاً لمعنى الاخوّة الاسلامية، مثل ما تقرأ فى الدعاء ٣٨:

«اللّهمَّ إنّى أعتذرُ إليکَ من مظلوم ظُلِمَ بحضرتى فَلم أنصرهُ، ومِن معروف أسدىَ إلىَّ فلم أشكرهُ، ومِن مسىء اعتذرَ إلىَّ فلم

ص:126

أعذرهُ، ومِن ذِى فاقة سألنى فلم أؤثرهُ، ومِن حقٍّ ذى حقٍّ لزمنى لمؤمن فلم أوفِّرهُ، ومِن عيب مؤمن ظهرَلى فلم أسترهُ».

إنّ هذا الاعتذار من أبدع ما ينبِّه النفس إلى ما ينبغى عمله من هذه الاخلاق الالهية العالية.

وفى الدعاء ٣٩ ما يزيد على ذلک، فيعلّمک كيف يلزمک أن تعفو عمَّن أساء إليک، ويحذِّرک من الانتقام منه، ويسمو بنفسک إلى مقام القدّيسين:

«اللّهمَّ وأيَّما عبد نالَ منِّى ما حظرتَ عليهِ، وانتهکَ منِّى ما حجرتَ عليهِ، فمضَى بظلامتِى ميّتاً، أو حصلت لى قِبَلَهُ حَيّاً، فاغفر لَهُ ما ألمَّ بهِ منِّى، واعفُ لهُ عمّا أدبرَ بهِ عنِّى، ولا تقفهِ على ما ارتكبَ فىَّ، ولا تكشفهُ عمّا اكتسبَ بى، واجعل ما سمحتُ به منَ العفوِ عنهم، وتبرَّعتُ من الصدقةِ عليهم، أزكى صدقاتِ المتصدِّقينَ، وأعلى صِلاتِ المتقرِّبينَ، وعوِّضنى من عفوى عنهُم عفوَکَ، ومن دعائِى لهم رحمتَکَ، حتّى يسعَدَ كلُّ واحد منّا بفضلِکَ».

وما أبدع هذه الفقرة الاخيرة، وما أجمل وقعها فى النفوس الخيِّرة، لتنبيهها على لزوم سلامة النيّة مع جميع الناس، وطلب السعادة لكلّ أحد حتّى من يظلمه ويعتدى عليه.

ص:127

ومثل هذا كثير فى الادعية السجادية، وما أكثر ما فيها من هذا النوع من التعاليم السماوية المهذِّبة لنفوس البشر لو كانوا يهتدون.

وممّا امتازت به الامامية العناية بزيارة القور ـ قبور النبى والائمّة عليهم الصلاة والسلام ـ وتشييدها، وإقامة العمارات الضخمة عليها، ولاجلها يضحّون بكلّ غال ورخيص، عن إيمان وطيب نفس.

ومردّ كلّ ذلک إلى وصايا الائمّة، وحثّهم شيعتهم على الزيارة، وترغيبهم فيما لها من الثواب الجزيل عند الله تعالى، باعتبار أنّها من أفضل الطاعات والقربات بعد العبادات الواجبة، وباعتبار أنّ هاتيک القبور من خير المواقع لاستجابة الدعاء والانقطاع إلى الله تعالى.

وجعلوها أيضاً من تمام الوفاء بعهود الائمة، إذ «أنّ لكل إمام عهداً فى عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة فى زيارتهم وتصديقاً بما

ص:128

رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة»(١).

وفى زيارة القبور من الفوائد الدينية والاجتماعية ما تستحقّ العناية من أئمتنا، فإنّها فى الوقت الذى تزيد من رابطة الولاء والمحبة بين الائمة وأوليائهم، وتجددّ فى النفوس ذكر مآثرهم وأخلاقهم وجهادهم فى سبيل الحق، تجمع فى مواسمها أشتات المسلمين المتفرِّقين على صعيد واحد، ليتعارفوا ويتآلفوا، ثمّ تطبع فى قلوبهم روح الانقياد إلى الله تعالى، والانقطاع إليه، وطاعة أوامره، وتلقِّنهم فى مضامين عبارات الزيارات البليغة الواردة عن آل البيت حقيقة التوحيد والاعتراف بقدسيّة الاسلام والرسالة المحمّدية، وما يجب على المسلم من الخلق العالى الرصين، والخضوع إلى مدبِّرالمكائنات، وشكر آلائه ونعمه، فهى من هذه الجهة تقوم بنفس وظيفة الادعية المأثورة التى تقدَّم الكلام عليها.

بل بعضها يشتمل على أبلغ الادعية وأسماها، كزيارة (أمين الله)، وهى الزيارة المرويّة عن الامام زين العابدين (عليه السلام) حينما زار قبر جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) (٢).

---

(١) كامل الزيارات: ١٢٢، الكافى ٥٦٧/٤.

(٢) كامل الزيارات: ٣٩.

ص:129

كما تفهم هذه الزيارات المأثورة مواقف الائمّة (عليهم السلام)وتضحياتهم فى سبيل نصرة الحق واعلاء كلمة الدين، وتجرّدهم لطاعة الله تعالى، وقد وردت بأسلوب عربى جزل، وفصاحة عالية، وعبارات سهلة يفهمها الخاصّة والعامّة، وهى محتوية على أسمى معانى التوحيد ودقائقه، والدعاء والابتهال إليه تعالى.

فهى بحق من أرقى الادب الدينى بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة والادعية المأثورة عنهم، إذ أودعت فيها خلاصة معارف الائمة (عليهم السلام) فيما يتعلّق بهذه الشؤون الدينية والتهذيبية.

ثمّ إنّ فى آداب أداء الزيارة أيضاًمن التعليم والارشاد ما يؤكِّد من تحقيق تلك المعانى الدينية السامية، من نحو رفع معنوية المسلم، وتنمية روح العطف على الفقير، وحمله على حسن العشرة والسلوك، والتحبّب إلى مخالطة الناس، فإنّ من آدابها ما ينبغى أن يصنع قبل البدء بالدخول فى المرقد المطهَّر وزيارته.

ومنها ما ينبغى أن يصنع فى أثناء الزيارة وفيما بعد الزيارة، ونحن هنا نعرض بعض هذه الاداب، للتنبيه على مقاصدها التى قلناها:

ص:130

من آدابها:

١ ـ أن يغتسل الزائر قبل الشروع بالزيارة ويتطهَّر، وفائدة ذلک فيما نفهمه واضحة، وهى أن ينظِّف الانسان بدنه من الاوساخ، ليقيه من كثير من الامراض والادواء، ولئلاّ يتأفّف من روائحه الناس، وأن يطهِّر نفسه من الرذائل.

وقد ورد فى المأثور أن يدعو الزائر بعد الانتهاء من الغسل، لغرض تنبيهه على تلكم الاهداف العالية فيقول: «اللّهُمَّ اجعل لِي نوراً وطهوراً، وحِرزاً كافياً من كلِّ داء وسقَم، ومن كلِّ آفة وعاهة، وطهِّر به قلبى وجوارحى، وعظامى ولحمى ودمِى، وشعرى وبشرى ومخِّى وعظمى، وما أقلَّت الارضُ منِّى، واجعل لِي شاهِداً يومَ حاجَتى، وفقرِى وفاقَتِى»(١).

٢ ـ أن يلبس أحسن وأنظف ما عنده من الثياب، فإنّ فى الاناقة فى الملبس فى المواسم العامّة ما يحبّب الناس بعضهم إلى بعض، ويقرِّب بينهم، ويزيد فى عزّة النفوس والشعور بأهميّة الموسم الذى يشترك فيه.

---

(١) كامل الزيارات: ١٨۶.

وممّا ينبغى أن نلفت النظر إليه فى هذا التعليم أنّه لم يفرض فيه أن يلبس الزائر أحسن الثياب على العموم، بل يلبس أحسن ما يتمكَّن عليه، إذ ليس كل أحد يستطيع ذلک، وفيه تضييق على الضعفاء لا تستدعيه الشفقة، فقد جمع هذا الادب بين ما ينبغى من الاناقة، وبين رعاية الفقير وضعف الحال.

٣ ـ أن يتطيَّب ما وسعه الطيب، وفائدته كفائدة أدب لبس أحسن الثياب.

۴ ـ أن يتصدَّق على الفقراء بما يعنَّ له أن يتصدَّق به، ومن المعلوم فائدة التصدُّق فى مثل هذه المواسم، فإنّ فيه معاونة المعوزين، وتنمية روح العطف عليهم.

۵ ـ أن يمشى على سكينة ووقار غاضّاً من بصره، وواضح ما فى هذا من توقير للحرم والزيارة، وتعظيم للمزور، وتوجّه إلى الله تعالى، وانقطاع إليه، مع ما فى ذلک من اجتناب مزاحمة الناس ومضايقتهم فى المرور، وعدم إساءة بعضهم إلى بعض.

۶ ـ أن يكبِّر بقول: «الله أكبر»، ويكرّر ذلک ما شاء، وقد تُحدَّد فى بعض الزيارات إلى أن تبلغ المائة، وفى ذلک فائدة إشعار النفس بعظمة الله، وأنّه لا شىء أكبر منه، وأنّ الزيارة ليست إلاّ لعبادة الله

وتعظيمه وتقديسه فى إحياء شعائر الله وتأييد دينه.

٧ ـ وبعد الفراغ من الزيارة للنبى أو الامام يصلّى ركعتين على الاقل، تطوّعاً وعبادة لله تعالى، ليشكره على توفيقه إياه، ويهدى ثواب الصلاة إلى المزور.

وفى الدعاء المأثور الذى يدعو به الزائر بعد هذه الصلاة ما يفهم الزائر أنّ صلاته وعمله إنّما هو لله وحده، وأنه لا يعبد سواه، وليست الزيارة إلاّ نوع التقرّب إليه تعالى زلفى، إذ يقول:

«اللّهمَّ لكَ صلَّيتُ، ولكَ ركعتُ، ولَكَ سجدتُ وحدَكَ لا شريكَ لكَ، لانّه لا تكون الصلاةُ والركُوعُ والسجودُ إلاّ لَكَ، لانَّكَ أنتَ الله لا إلهَ إلاّ أنتَ.

اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآلِ محمّد، وتقبَّل منِّى زيارَتِى، وأعطِنى سؤلِى، بمحمَّد وآلهِ الطاهرينَ»(١).

وفى هذا النوع من الادب ما يوضّح لمن يريد أن يفهم الحقيقة عن مقاصد الائمة وشريعتهم تبعاً لهم فى زيارة القبور، وما يلقم المتجاهلين حجراً حينما يزعمون أنّها عندهم من نوع عبادة القبور،

---

(١) المصباح للكفعمى ١٥٨/٢.

والتقرّب إليها، والشرك بالله.

وأغلب الظن أنّ غرض أمثال هؤلاء هو التزهيد فيما يجلب لجماعة الامامية من الفوائد الاجتماعية الدينية فى مواسم الزيارات، إذ أصبحت شوكة فى أعين أعداء آل بيت محمَّد، وإلاّ فما نظنهم يجهلون حقيقة مقاصد آل البيت فيها.

حاشا أولئک الذين أخلصو لله نيّاتهم، وتجرّدوا له فى عباداتهم، وبذلوا مهجهم فى نصرة دينه أن يدعوا الناس إلى الشرک فى عبادة الله.

٨ ـ ومن آداب الزيارة: أن يلزم للزائر حسن الصحبة لمن يصحبه، وقلّة الكلام إلاّ بخير، وكثرة ذكر الله، والخشوع، وكثرة الصلاة، والصلاة على محمّد وآل محمّد، وأن يغضّ من بصره، وأن يعدو إلى أهل الحاجة من إخوانه إذا رأى منقطعاً، والمواساة لهم، والورع عمّا نُهى عنه، وعن الخصومة، وكثرة الايمان، والجدال الذى فيه الايمان.

ثمّ أنّه ليست حقيقة الزيارة إلاّ السلام على النبى أو الامام

باعتبار أنّهم (أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ) (١)، فهم يسمعون الكلام، ويردّون الجواب، ويكفى أن يقول فيها مثلاً: (السلام عليک يا رسول الله).

غير أنّ الاولى أن يقرأ فيها المأثور الوارد من الزيارات عن آل البيت، لما فيها ـ كما ذكرنا ـ من المقاصد العالية والفوائد الدينية، مع بلاغتها وفصاحتها، ومع ما فيها من الادعية العالية التى يتّجه بها الانسان إلى الله تعالى وحده.

٣٧ ـ عقيدتنا فى معنى التشيُّع عند آل البيت

إنّ الائمّة من آل البيت (عليهم السلام) لم تكن لهم همّة ـ بعد أن انصرفوا عن أن يرجع أمر الاُمَّة إليهم ـ إلاّ تهذيب المسلمين، وتربيتهم تربية صالحة كما يريدها الله تعالى منهم، فكانوا مع كلٍّ من يواليهم ويأتمنونه على سرّهم يبذلون قصارى جهدهم فى تعليمه الاحكام الشرعية، وتلقينه المعارف المحمدية، ويعرّفونه ما له وما عليه.

ولا يعتبرون الرجل تابعاً وشيعة لهم إلاّ إذا كان مطيعاً لامر الله،

---

(١) آل عمران: ١٦٩.

مجانباً لهواه، آخذاً بتعاليمهم وإرشاداتهم.

ولا يعتبرون حبّهم وحده كافياً للنجاة، كما قد يمنّى نفسه بعض من يسكن إلى الدعة والشهوات، ويلتمس عذراً فى التمرّد على طاعة الله سبحانه، إنّهم لا يعتبرون حبهم وولاءهم منجاة إلاّ إذا اقترن بالاعمال الصالحة، وتحلّى الموالى لهم بالصدق والامانة والورع والتقوى.

«يا خيثمة، أبلغ موالينا أنّه لا نغنى عنهم من الله شيئاً إلاّ بعمل، وأنّهم لن ينالوا ولايتنا إلاّ بالورع، وإنّ أشدّ الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثمّ خالفه إلى غيره»(١).

بل هم يريدون من أتباعهم أن يكونوا دعاة للحق، وأدلاّء على الخير والرشاد، ويرون أنّ الدعوة بالعمل أبلغ من الدعوة باللسان: «كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع»(٢).

ونحن نذكر لک الان بعض المحاورات التى جرت لهم مع بعض اتباعهم، لتعرف مدى تشديدهم وحرصهم على تهذيب أخلاق

---

(١) الكافى ١٤٠/٢.

(٢) الكافى ٦۴/٢.

الناس:

١ ـ محاورة أبى جعفر الباقر (عليه السلام) مع جابر الجعفى:

«يا جابر، أيكتفى من ينتحل التشيُّع أن يقول بحبنا أهل البيت؟! فو الله ما شيعتنا إلاّ من اتّقى الله وأطاعه.

وما كانوا يعرفون إلاّ بالتواضع، والتخشُّع، والامانة، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبر بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والايتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الالسن عن الناس إلاّ من خير، وكانوا أُمناء عشائرهم فى الاشياء.

فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عزّوجل أتقاهم وأعملهم بطاعته.

يا جابر، والله ما نتقرّب إلى الله تبارک وتعالى إلاّ بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لاحد من حجّة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولى، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع»(١).

---

(١) الكافى ٢/٦٠.

٢ ـ محاورة أبى جعفر (عليه السلام) أيضاً مع سعيد بن الحسن:

أبو جعفر (عليه السلام): «أيجىء أحدكم إلى أخيه فيدخل يده فى كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟».

سعيد: ما أعرف ذلک فينا.

أبو جعفر (عليه السلام): «لا شىء إذن».

سعيد: فالهلاک إذن!

أبو جعفر (عليه السلام): «إنّ القوم لم يعطوا أحلامهم بعد»(١).

٣ ـ محاورة أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) مع أبى الصباح الكنانى:

الكنانى لابى عبد الله: ما نلقى من الناس فيک؟!

أبو عبد الله: «وما الذى تلقى من الناس؟» الكنانى: لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام، فيقول: جعفرى خبيث.

أبو عبد الله: «يعيّركم الناس بى؟!».

الكنانى: نعم أبو عبد الله: «ما أقل والله من يتّبع جعفراً منكم، إنّما أصحابى

---

(١) الكافى ١٣٩/٢.

من اشتدّ ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، هؤلاء أصحابى!»(١).

۴ ـ ولايى عبدالله (عليه السلام) كلمات فى هذا الباب نقتطف منها مايلى:

أ ـ «ليس منّا ـ ولا كرامة ـ من كان فى مصر فيه مائة ألف أو يزيدون، وكان فى ذلک المصر أحد أورع منه»(٢).

ب ـ «إنّا لا نعدّ الرجل مؤمناً حتّى يكون لجميع أمرنا متّبعاً ومريداً، ألا وإن من اتباع أمرنا وإرادته الورع، فتزيَّنوا به يرحمكم الله»(٣).

جـ ـ «ليس من شيعتنا من لا تتحدَّث المخدَّرات بورعه فى خدورهن، وليس من أوليائنا من هو فى قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق لله أورع منه»(۴).

د ـ «إنّما شيعة جعفر مَن عفّ بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه ; فإذا رأيت أولئک فأُولئک

---

(١) الكافى ۶٢/٢.

(٢) الكافى ٦٣/٢.

(٣) الكافى ٦٣/٢.

(٤) الكافى ٦٤/٢.

شيعة جعفر»(١).

٣٨ ـ عقيدتنا فى الجور والظلم

من أكبر ما كان يعظّمه الائمة (عليهم السلام) على الانسان من الذنوب العدوان على الغير والظلم للناس، وذلک إتّباعاً لما جاء فى القرآن الكريم من تهويل الظلم واستنكاره، مثل قوله تعالى: (وَلا تَحسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعمَلُ الظَّالِمُونَ إنَّما يُؤَخِّرُهُم لِيَوم تَشخَصُ فِيهِ الابصَارُ) (٢).

وقد جاء فى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ما يبلغ الغاية فى بشاعة الظلم والتنفير منه، كقوله ـ وهو الصادق المصدَّق ـ من كلامه فى نهج البلاغة برقم ٢١٩:

«واللهِ لَو أعطِيتُ الاقالِيمَ السَّبعةَ بِمَا تَحتَ أفلاكِها على أن أعصِى اللهَ فى نَملَة أسلُبُهَا جِلبَ شَعِيرة ما فَعَلتُ».

وهذا غاية ما يمكن أن يتصوَّره الانسان فى التعفُّف عن الظلم، والحذر من الجور، واستنكار عمله.

---

(١) الكافى ١٨٣/٢.

(٢) إبراهيم: ٤٢.

إنّه لا يظلم نملة فى قشرة شعيرة وإن أعطى الاقاليم السبعة، فكيف حال من يلغ فى دماء المسلمين، وينهب أموال الناس، ويستهين فى أعراضهم وكراماتهم؟! كيف يكون قياسه إلى فعل أمير المؤمنين؟! وكيف تكون منزلته من فقهه صلوات الله عليه؟

إنّ هذا هو الادب الالهى الرفيع الذى يتطلّبه الدين من البشر.

نعم، إنّ الظلم من أعظم ما حرَّم الله تعالى، فلذا أخذ من أحاديث آل البيت وأدعيتهم المقام الاوّل فى ذمّه وتنفير أتباعهم عنه.

وهذه سياستهم (عليهم السلام)، وعليها سلوكهم حتّى مع من يعتدى عليهم، ويجترئ على مقامهم.

وقصّه الامام الحسن (عليه السلام) معروفة فى حلمه عن الشامى الذى اجترأ عليه وشتمه، فلاطفه الامام وعطف عليه، حتّى أشعره بسوء فعلته(١).

وقد قرأت آنفاً فى دعاء سيد الساجدين من الادب الرفيع فى العفو عن المعتدين، وطلب المغفرة لهم، وهو غاية ما يبلغه السموّ

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١٩/٤.

النفسى والانسانية الكاملة، وإن كان الاعتداء على الظالم بمثل ما اعتدى جائزاً فى الشريعة وكذا الدعاء عليه جائز مباح، ولكن الجواز شىء، والعفو ـ الذى هو من مكارم الاخلاق ـ شىء آخر.

بل عند الائمّة أنّ المبالغة فى الدعاء على الظالم قد تعدّ ظلماً، قال الصادق (عليه السلام): «إنّ العبد ليكون مظلوماً فما يزال يدعو حتى يكون ظالماً»(١)، أى: حتّى يكون ظالماً فى دعائه على الظالم بسبب كثرة تكراره.

يا سبحان الله، أيكون الدعاء على الظالم إذا تجاوز الحد ظلماً؟ إذن ما حال من يبتدئ بالظلم والجور، ويعتدى على الناس، أو ينهش أعراضهم، أو ينهب أموالهم، أو يشى عليهم عند الظالمين، أو يخدعهم فيورّطهم فى المهلكات، أو ينبزهم ويؤذيهم، أو يتجسّس عليهم؟ ما حال أمثال هؤلاء فى فقه آل البيت (عليهم السلام)؟!

إنّ أمثال هؤلاء أبعد الناس عن الله تعالى، وأشدّهم إثماً وعقاباً، وأقبحهم أعمالاً وأخلاقاً.

---

(١) الكافى ٢/٢٥٠.

٣٩ ـ عقيدتنا فى التعاون مع الظالمين

ومن عظم خطر الظلم وسوء مغبّته أن نهى الله تعالى عن معاونة الظالمين والركون إليهم (وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَالَكُم مِن دُونِ اللهِ مِن أَولِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ) (١).

هذا هو أدب القرآن الكريم، وهو أدب آل البيت (عليهم السلام)، وقد ورد عنهم ما يبلغ الغاية من التنفير عن الركون إلى الظالمين، والاتّصال بهم، ومشاركتهم فى أى عمل كان، ومعاونتهم ولو بشق تمرة(٢).

ولا شك أنّ أعظم ما مُنى به الاسلام والمسلمون هو التساهل مع أهل الجور، والتغاضى عن مساوئهم، والتعامل معهم، فضلاً عن ممالاتهم ومناصرتهم وإعانتهم على ظلمهم.

وما جرَّ الويلات على الجامعة الاسلامية إلاّ ذلک الانحراف عن جدد الصواب والحق، حتى ضعف الدين بمرور الايام، فتلاشت قوّته ووصل إلى ما عليه اليوم، فعاد غريباً، وأصبح المسلمون أو ما يسمّون أنفسهم بالمسلمين: وما لهم من دون الله أولياء ثم لا ينصرون حتى على أضعف أعدائهم، وأرذل المجترئين عليهم،

---

(١) هود: ١١٣.

(٢) وسائل الشيعة ١٨٣/١٧.

كاليهود الاذلاّء، فضلاً عن الصليبيين الاقوياء.

لقد جاهد الائمة (عليهم السلام) فى إبعاد من يتّصل بهم عن التعاون مع الظالمين، وشدّدوا على أوليائهم فى مسايرة أهل الظلم والجور وممالاتهم، ولا يحصى ما ورد عنهم فى هذا الباب، ومن ذلک ما كتبه الامام زين العابدين (عليه السلام) إلى محمّد بن مسلم الزهرى بعد أن حذره عن إعانة الظلمة على ظلمهم:

«أو ليس بدعائهم إيّاک حين دعوک جعلوک قطباً أداروا بک رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليک إلى بلاياهم، وسلَّماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غيّهم، سالكاً سبيلهم، يدخلون بک الشک على العلماء، ويقتادون بک قلوب الجهّال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلاّ دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أقلّ ما أعطوک فى قدر ما أخذوا منک، وما أيسر ما عمَّروا لک فى جنب ما خرّبوا عليک ; فانظر لنفسک، فإنّه لا ينظر لها غيرک، وحاسبها حساب رجل مسؤول»(١).

ما أعظم كلمة «وحاسبها حساب رجل مسؤول»، فإنّ الانسان

(١) تحف العقول: ٢٧٥.

ص:144

حينما يغلبه هواه يستهين فى أغوار مكنون سرّه بكرامة نفسه، بمعنى إنّه لا يجده مسؤولاً عن أعماله، ويستحقر ما يأتى به من أفعال، ويتخيَّل أنّه ليس بذلک الذى يحسب له الحساب على ما يرتكبه ويقترفه، إنّ هذا من أسرار النفس الانسانية الامّارة، فأراد الامام أن ينبهّالزهرى على هذا السر النفسانى فى دخيلته الكامنة، لئلاّ يغلب عليه الوهم فيفرط فى مسؤوليته عن نفسه.

وأبلغ من ذلک فى تصوير حرمة معاونة الظالمين حديث صفوان الجمَّال مع الامام موسى الكاظم (عليه السلام)، وقد كان من شيعته ورواة حديثه الموثّقين.

قال ـ حسب رواية الكشى فى رجاله بترجمة صفوان ـ: دخلت عليه فقال لى: «يا صفوان كلّ شىء منک حسن جميل، خلا شيئاً واحداً».

قلت: جعلت فداک! أىّ شىء؟

قال: «إكراؤک جمالک من هذا الرجل ـ يعنى هارون ـ».

قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً، ولا للصيد، ولا للهو، ولكن أكريته لهذا الطريق ـ يعنى طريق مكة ـ ولا أتولاّه بنفسى، ولكن أبعث معه غلمانى.

ص:145

قال: «يا صفوان أيقع كراؤک عليهم؟».

قلت: نعم جعلت فداک.

قال: «أتحب بقاءهم حتى يخرج کراک؟».

قلت: نعم.

قال: «فمن أحبّ بقاءهم فهو منهم، ومن کان منهم فهو کان ورد النار».

قال صفوان: فذهبت وبعت جمالی عن آخرها(۱).

فاذا کان نفس حب حیاة الظالمین وبقائهم بهذه المنزلة، فکیف بمن یستعینون به علی الظلم، أو یؤیدهم فی الجور، وکیف حال من یدخل فی زمرتهم، أو یعمل بأعمالهم، أو یواکب قافلتهم، أو یأتمر بأمرهم؟!.

۴۰ ـ عقیدتنا فی الوظیفة فی الدولة الظالمة

إذا کان معاونة الظالمین ولو بشق تمرة، بل حب بقائهم، من أشد ما حذَّر عنه الائمة (علیهم السلام)، فما حال الاشتراک معهم فی الحکم،

---

(۱) رجال الکشی: ۴۴۰.

والدخول فی وظائفهم وولایاتهم؟ بل ما حال من یکون من جملة المؤسِّسین لدولتهم، أو من کان من أرکان سلطانهم، والمنغمسین فی تشیید حکمهم، «وذلک أن ولایة الجائر دروس الحق کلّه، وإحیاء الباطل کلّه، وإظهار الظلم والجور والفساد» کما جاء فی حدیث «تحف العقول» عن الصادق (علیه السلام) (۱).

غير أنّه ورد عنهم (عليهم السلام) جواز ولاية الجائر إذا كان فيها صيانة العدل، وإقامة حدود الله، والاحسان إلى المؤمنين، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر، «إن لله فى أبواب الظلمة مَن نوَّر الله به البرهان، ومكَّن له فى البلاد، فيدفع بهم عن أوليائه، ويصلح بهم أمور المسلمين... أُولئک هم المؤمنون حقّاً، أولئک منار الله فى أرضه، أولئک نور الله فى رعيته» كما جاء فى الحديث عن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) (٢).

وفى هذا الباب أحاديث كثيرة توضّح النهج الذى ينبغى أن يجرى عليه الولاة والموظفون، مثل ما فى رسالة الصادق (عليه السلام) إلى عبد الله النجاشى أمير الاهواز (راجع الوسائل كتاب البيع

---

(١) تحف العقول: ٣٣٢.

(٢) بحار الانوار ٣٨١/٧٥، عن منية المريد، وفيه الحديث عن الامام الرضا (عليه السلام).

الباب ٧٨).

٤١ ـ عقيدتنا فى الدعوة إلى الوحدة الاسلامية

عرف آل البيت (عليهم السلام) بحرصهم على بقاء مظاهر الاسلام، والدعوة إلى عزّته، ووحدة كلمة أهله، وحفظ التآخى بينهم، ورفع السخيمة من القلوب، والاحقاد من النفوس.

ولا يُنسى موقف أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الخلفاء الذين سبقوه، مع توجده عليهم، واعتقاده بغصبهم لحقه، فجاراهم وسالمهم، بل حبس رأيه فى أنّه المنصوص عليه بالخلافة، حتّى أنه لم يجهر فى حشد عام بالنصِّ إلاّ بعد أن آل الامر إليه، فاستشهد بمن بقى من الصحابة عن نص الغدير فى يوم الرحبة المعروف(١).

وكان لا يتأخّر عن الاشارة عليهم فيما يعود على المسلمين أو للاسلام بالنفع والمصلحة، وكم كان يقول عن ذلک العهد: «فَخَشِيتُ

(١) مسند أحمد ٨٤/١، فضائل أحمد: ٧٧، السنة لابن أبى عصام: ٥٩٣، مشكل الاثار ٣٠٧/٢، خصائص النسائى: ١٠٠، المعجم الصغير للطبرانى ٦٥/١، المعجم الاوسط للطبرانى ٦٨/٢.

إن لَم أنصُر الاسلامَ وَأهلَهُ أن أرى فِيهِ ثَلماً أو هدماً»(١).

كما لم يصدر منه ما يؤثِّر على شوكة ملكهم، أو يضعف من سلطانهم، أو يقلِّل من هيبتهم، فانكمش على نفسه وجلس حلس البيت، بالرغم ممّا كان يشهده منهم.

كل ذلک رعاية لمصلحة الاسلام العامة، ورعاية أن لا يرى فى الاسلام ثلماً أو هدماً، حتى عرف ذلک منه، وكان الخليفة عمر بن لخطاب يقول ويكرّر القول: (لا كنت لمعضلة ليس لها أبو الحسن)(٢)، أو: (لولا على لهلک عمر)(٣).

ولا يُنسى موقف الحسن بن على (عليه السلام) من الصلح مع معاوية، بعد أن رأى أنّ الاصرار على الحرب سيديل من ثقل الله الاكبر ومن دولة العدل، بل إسم الاسلام إلى آخر الدهر، فتمحى الشريعة الالهية، ويقضى على البقية الباقية من آل البيت، ففضَّل المحافظة

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٦٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٣٩/٢، فضائل أحمد: ١٥٥، أنساب الاشراف للبلاذرى ٩٩/٢، أسد الغابة ٢٢/٤، تهذيب التهذيب ٢٩٦/٧، فرائد السمطين ٣٤٤/١.

(٣) المناقب للخوارزمى: ٨٠، تذكرة الخواص: ١٣٧، كفاية الطالب: ٢١٩، ذخائر العقبى: ٨٢، الرياض النضرة ١٦١/٣.

ص:149

عى ظواهر الاسلام واسم الدين، وإن سالم معاوية ـ العدو الالد للدين وأهله، والخصم الحقود له ولشيعته ـ مع ما يتوقّع من الظلم والذل له ولاتباعه، وكانت سيوف بنى هاشم وسيوف شيعته مشحوذة تأبى أن تغمد دون أن تأخذ بحقّها من الدفاع والكفاح، ولكن مصلحة الاسلام العليا كانت عنده فوق جميع هذه الاعتبارات.

وأمّا الحسين الشهيد (عليه السلام) فلئن رهض فلانّه رأى من بنى أمية إن دامت الحال لهم ولم يقف فى وجههم من يكشف سوء نيّاتهم، سيمحون ذكر الاسلام، ويطيحون بمجده، فأراد أن يثبت للتاريخ جورهم وعدوانهم، ويفضح ما كانوا يبيّتونه لشريعة الرسول، وكان ما أراد، ولولا نهضته المباركة لذهب الاسلام فى خبر كان يتلهّى بذكره التاريخ كأنّه دين باطل.

وحرص الشيعة على تجديد ذكراه بشتّى أساليبهم إنّما هو لاتمام رسالة نهضته فى مكافحة الظلم والجور، ولاحياء أمره امتثالاً لاوامر الائمة من بعده.

وينجلى لنا حرص آل البيت (عليهم السلام) على بقاء عز الاسلام ـ وإن كان ذو السلطة من ألد أعدائهم ـ فى موقف الامام زين العابدين (عليه السلام)

ص:150

من ملوک بنى أمية، وهو الموتور لهم، والمنتهكة فى عهدهم حرمته وحرمه، والمحزون على ما صنعوا مع أبيه وأهل بيته فى واقعة كربلاء، فإنّه ـ مع كل ذلک ـ كان يدعو فى سرِّه لجيوش المسلمين بالنصر، وللاسلام بالعز، وللمسلمين بالدعة والسلامة، وقد تقدَّم أنّه كان سلاحه الوحيد فى نشر المعرفة هو الدعاء، فعلَّم شيعته كيف يدعون للجيوش الاسلامية والمسلمين، كدعائه المعروف بـ (دعاء أهل الثغور) الذى يقول فيه:

«اللّهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمّد، وكثِّر عددَهُم، واشحَذ أسلحَتَهم، واحرُس حوزَتَهُم، وامنَع حومَتَهُم، وألِّف جمعَهُم، ودبِّر أمرَهُم، وواتِر بينَ ميرهِم، وتوحَّد بكافيَةِ مؤَنِهُم، واعضُدهُم بالنصرِ، وأعِنهُم بالصبرِ، والطُف لهُم فى المكرِ».

إلى أن يقول ـ بعد أن يدعو على الكافرين ـ:

«اللّهمَّ وقوِّ بذلِکَ محال أهلِ الاسلام، وحصِّن بهِ ديارَهُم، وثمِّر بهِ أموالَهُم، وفرِّغهُم عن محاربتِهم لعبادَتِکَ، وعن منابذَتِهم للخلَوةِ بِکَ، حتّى لا يُعبَدُ فى بقاعِ الارضِ غيرُکَ، ولا تعفَّر لاحد منهُم جبهةً

ص:151

دونَکَ»(١).

وهكذا يمضى فى دعائه البليغ ـ وهو من أطول أدعيته ـ فى توجيه الجيوش المسلمة إلى ما ينبغى لها من مكارم الاخلاق، وأخذ العدّة للاعداء، وهو يجمع إلى التعاليم الحربية للجهاد الاسلامى بيان الغاية منه وفائدته، كما ينبِّه المسلمين إلى نوع الحذر من أعدائهم، ومايجب أن يتخذوه فى معاملتهم ومكافحتهم، وما يجب عليهم من الانقطاع إلى الله تعالى، والانتهاء عن محارمه، والاخلاص لوجهه الكريم فى جهادهم.

وكذلک باقى الائمة (عليهم السلام) فى مواقفهم مع ملوک عصرهم، وإن لاقوا منهم أنواع الضغط والتنكيل بكل قساوة وشدّة، فانّهم لما علموا أنّ دولة الحق لا تعود إليهم انصرفوا إلى تعليم الناس معالم دينهم، وتوجيه أتباعهم التوجيه الدينى العالى.

وكلّ الثورات التى حدثت فى عصرهم من العلويين وغيرهم لم تكن عن إشارتهم ورغبتهم، بل كانت كلّها مخالفة صريحة

---

(١) ما أجمل هذا الدعاء، وأجدر بالمسلمين فى هذه العصور أن يتلوا هذا الدعاء، ليعتبروا به، وليبتهلوا إلى الله تعالى فى جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم وتنوير عقولهم «منه قدس سره».

ص:152

لاوامرهم وتشديداتهم، فانّهم كانوا أحرص على كيان الدولة الاسلامية من كل أحد، حتى من خلفاء بنى العباس أنفسهم.

وكفى أن نقرأ وصية الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) لشيعته:

«لا تذلّوا رقابكم بترک طاعة سلطانكم، فإن كان عادلاً فاسألوا الله بقاءه، وإن كان جائراً فاسألوا الله اصلاحه، فإنّ صلاحكم فی صلاح سلطانكم، وإنّ السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبّوا له ما تحبون لانفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لانفسكم»(١).

وهذا غاية ما يوصف فی محافظة الرعية على سلامة السلطان أن يحبوا له ما يحبون لانفسهم، ويكرهوا له ما يكرهون لها.

وبعد هذا، فما أعظم تجنِّی بعض كتّاب العصر، إذ يصف الشيعة بأنّهم جمعية سرّيّة هدّامة، أو طائفة ثوروية ناقمة!!

صحيح أنّ من خلق الرجل المسلم المتّبع لتعاليم آل البيت (عليهم السلام)بغض الظلم والظالمين، والانكماش عن أهل الجور والفسوق، والنظرة إلى أعوانهم وأنصارهم نظرة الاشمئزاز والاستنكار، والاستيحاش والاستحقار، وما زال هذا الخلق متغلغلاً فی نفوسهم

---

(١) أمالی الصدوق: ٢٧٧.

يتوارثونه جيلاً بعد جيل، ولكن مع ذلک ليس من شيمتهم الغدر والختل، ولا من طريقتهم الثورة والانتفاض على السلطة الدينية السائدة باسم الاسلام، لا سراً ولا علناً، ولا يبيحون لانفهسم الاغتيال أو الوقيعة بمسلم مهما كان مذهبه وطريقته، أخذاً بتعاليم أئمّتهم (عليهم السلام).

بل المسلم الذی يشهد الشهادتين مصون المال، محقون الدم، محرَّم العرض، «لا يحل مال امرئ مسلم إلاّ بطيب نفسه»(١).

بل المسلم أخو المسلم، عليه من حقوق الاخوة لاخيه ما يكشف عنه البحث الاتی.

إنّ من أعظم وأجمل ما دعا إليه الدين الاسلامى هو التآخى بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم ومنازلهم، كما أنّ من أوطأ وأخس ما صنعه المسلمون اليوم وقبل اليوم هو تسامحهم بالاخذ بمقتضيات هذه الاخوة الاسلامية.

---

(١) الفقيه ۶۶/۴، تحف العقول: ٣۴.

لانّ من أيسر مقتضياتها ـ كما سيجىء فى كلمة الامام الصادق (عليه السلام) ـ: «أن يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه».

أنعم النظر، وفكِّر فى هذه الخصلة اليسيرة فى نظر آل البيت (عليهم السلام)، فستجد أنّها من أشق ما يفرض طلبه من المسلمين اليوم، وهم على مثل هذه الاخلاق الموجودة عندهم البعيدة عن روحية الاسلام.

فكِّر فى هذه الخصلة، لو قدِّر للمسلمين أن ينصفوا أنفسهم ويعرفوا دينهم حقاً ويأخذوا بها فقط: أن يحب أحدهم لاخيه ما يحب لنفسه، لما شاهدت من أحد ظلماً ولا اعتداء، ولا سرقة ولا كذباً، ولا غيبة ولا نميمة، ولا تهمة بسوء، ولا قدحاً بباطل، ولا إهانة ولا تجبُّراً.

بلى، إن المسلمين لو وقفوا لادراك أيسر خصال الاخوّة فيما بينهم، وعملوا بها، لارتفع الظلم والعدوان من الارض، ولرأيت البشر إخواناً على سرر متقابلين قد كملت لهم أعلى درجات السعادة الاجتماعية، ولتحقَّق حلم الفلاسفة الاقدمين فى المدينة الفاضلة، فما احتاجوا ـ حينما يتبادلون الحب والمودّة ـ إلى

الحكومات والمحاكم، ولا إلى الشرطة والسجون، ولا إلى قانون للعقوبات، وأحكام للحدود والقصاص، ولما خضعوا لمستعمر، ولا خنعوا لجبّار، ولا استبدّ بهم الطغاة، ولتبدَّلت الارض غير الارض، وأصبحت جنة النعيم ودار السعادة.

أزيدک: أنّ قانون المحبة لو ساد بين البشر ـ كما يريده الدين بتعاليم الاخوّة ـ لانمحت من قاموس لغاتنا كلمة العدل، بمعنى: إنّا لم نعد نحتاج إلى العدل وقوانينه حتى نحتاج إلى استعمال كلمته، بل كفانا قانون الحب لنشر الخير والسلام والسعادة والهناء، لانّ الانسان لا يحتاج إلى استعمال العدل ولا يطلبه القانون منه إلاّ إذا فقد الحب فيمن يجب أن يعدل معه، أمّا فيمن يبادله الحب ـ كالولد والاخ ـ إنّما يحسن إليه ويتنازل له عن جملة من رغباته فبدافع من الحب والرغبة عن طيب خاطر، لا بدافع العدل والمصلحة.

وسرُّ ذلک أنّ الانسان لا يحب إلاّ نفسه وما يلائم نفسه، ويستحيل أن يحب شيئاً أو شخصاً خارجاً عن ذاته إلاّ إذا ارتبط به وانطبعت فى نفسه منه صورة ملائمة مرغوبة لديه.

كما يستحيل أن يضحّى بمحض اختياره له فى رغباته ومحبوباته لاجل شخص آخر لا يحبه ولا يرغب فيه، إلاّ إذا

تكوّنت عنده عقيدة أقوى من رغباته، مثل عقيدة حسن العدل والاحسان، وحينئذ إذ يضحى باحدى رغباته إنّما يضحى لاجل رغبة أخرى أقوى كعقيدته بالعدل ـ إذا حصلت ـ التى تكون جزء من رغباته، بل جزء من نفسه.

وهذه العقيدة المثالية لاجل أن تتكوَّن فى نفس الانسان تتطلَّب منه أن يسمو بروحه على الاعتبارات المادية، ليدرک المثل الاعلى فى العدل والاحسان إلى الغير، وذلک بعد أن يعجز أن يكوِّن فى نفسه شعور الاخوّة الصادق والعطف بينه وبين أبناء نوعه.

فأوّل درجات المسلم التى يجب أن يتّصف بها أن يحصل عنده الشعور بالاخوة مع الاخرين، فاذا عجز عنها ـ وهو عاجز على الاكثر، لغلبة رغباته الكثيرة وأنانيته ـ فعليه أن يكوِّن فى نفسه عقيدة فى العدل والاحسان اتباعاً للارشادات الاسلامية، فإذا عجز عن ذلک فلا يستحق ان يكون مسلماً إلاّ بالاسم، وخرج عن ولاية الله، ولم يكن لله فيه نصيب على حد التعبير الاتى للامام.

والانسان ـ على الاكثر ـ تطغى عليه شهواته العارمة، فيكون من أشق ما يعانيه أن يهيّئ نفسه لقبول عقيدة العدل، فضلاً عن أن يحصل عليها عقيدة كاملة تفوق بقوّتها على شهواته.

ص:157

فلذلک کان القیام بحقوق الاخوّة من أشق تعالیم الدین إذا لم یکن عند الانسان ذلک الشعور الصادق بالاخوّة، ومن أجل هذا أشفق الامام أبو عبد الله الصادق (علیه السلام) أن یوضِّح لسائله ـ وهو أحد أصحابه (المعلّی بن خنیس) ـ عن حقوق الاخوان أکثر ممّا ینبغی أن یوضّح له خشیة أن یتعلّم ما لا یستطیع أن یعمل به.

قال المعلّی: قلت له: ما حق المسلم علی المسلم؟

قال أبو عبد الله: «له سبع حقوق واجبات، ما منهنّ حق إلاّ وهو علیه واجب، إن ضیَّع منها شیئاً خرج من ولایة الله وطاعته، ولم یکن لله فیه نصیب».

قلت له: جعلت فداک وماهی؟

قال: «یا معلی، إنّی علیک شفیق، أخاف أن تضیّع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل».

قلت: لا قوة إلاّ بالله.

وحینئذ ذکر الامام الحقوق السبعة بعد أن قال الاوّل منها: «أیسر حقّ منها أن تحب له کما تحب لنفسک، وتکره له ما تکره لنفسک».

یا سبحان الله، هذا هو الحق الیسیر، فکیف نجد ـ نحن المسلمین

ص:158

الیوم ـ یسر هذا الحق علینا؟ شاهت وجوه تدّعی الاسلام ولا تعمل بأیسر ما یفرضه من حقوق.

والاعجب أن یلصق بالاسلام هذا التأخّر الذی أصاب المسلمین، وما الذنب إلاّ ذنب من یسمُّون أنفسهم بالمسلمین، ولایعملون بأیسر ما یجب أن یعملوه من دینهم.

ولاجل التأریخ فقط، لنعرف أنفسنا وتقصیرها، أذکر هذه الحقوق السریعة التی أوضحها الامام (علیه السلام):

١ ـ أن تحب لاخيک المسلم ما تحب لنفسک، وتکره له ما تکره لنفسک.

٢ ـ أن تجتنب سخطه، وتتّبع مرضاته، وتطيع أمره.

٣ ـ أن تعينه بنفسک، ومالک، ولسانک، ويدک، ورجلک.

۴ ـ أن تکون عينه، ودليله، ومرآته.

۵ ـ أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظماً، ولا تلبس ويعرى.

۶ ـ أن يکون لک خادم وليس لاخيک خادم، فواجب أن تبعث خادمک، فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، وتمهِّد فراشه.

٧ ـ أن تبرَّ قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت له حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه إلى أن

يسألکها، ولکن تبادره مبادرة.

ثمّ ختم کلامه (عليه السلام) بقوله:

«فاذا فعلت ذلک وصلت ولايتک بولايته، وولايته بولايتک »(١).

وبمضمون هذا الحديث روايات مستفيضة عن أئمتنا، جمع قسماً کبيراً منها کتاب «الوسائل» فی أبواب متفرّقة.

وقد يتوهّم المتوهِم أنّ المقصود بالاخوّة فی أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) خصوص الاخوّة بين المسلمين الذين من أتباعهم «شيعتهم خاصّة »، ولکن الرجوع إلى رواياتهم کلها يطرد هذا الوهم، وإن کانوا من جهة أُخرى يشدّدون النکير على من يخالف طريقتهم ولا يأخذ بهداهم.

ويکفی أن تقرأ حديث معاوية بن وهب قال:

قلت له ـ أى الصادق (عليه السلام) ـ: كيف ينبغى لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممّن ليسوا على أمرنا؟

فقال: «تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم، فتصنعون ما

---

(١) الكافى ١٣٥/٢، الخصال ٣٥٠/٢، الامالى للطوس: ٩٨.

يصنعون، فو الله إنّهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدّون الامانة إليهم»(١).

أمّا الاخوّة التى يريدها الائمة (عليهم السلام) من أتباعهم فهى أرفع من هذه الاخوّة الاسلامية، وقد سمعت بعض الاحاديث فى فصل تعريف الشيعة، ويكفى أن تقرأ هذه المحاورة بين أبان بن تغلب وبين الصادق (عليه السلام) من حديث أبان نفسه.

قال أبان: كنت أطوف مع أبى عبد الله، فعرض لى رجل من أصحابنا كان سألنى الذهاب معه فى حاجته، فأشار إلىَّ، فرآنا أبو عبد الله.

قال: «يا أبان، إيّاک يريد هذا؟».

قلت: نعم.

قال: «هو على مثل ما أنت عليه؟».

قلت: نعم.

قال: «فاذهب إليه واقطع الطواف».

قلت: وإن كان طواف الفريضة؟!

---

(١) الكافى ۴۶۴/۲.

قال: «نعم».

قال أبان: فذهبت، ثمّ دخلت عليه بعد، فسألته عن حق المؤمن، فقال: «دعه لا ترده».

فلم أزل أردّ عليه حتى قال: «يا أبان، تقاسمه شطر مالک» ثم نظر إلىَّ ـ فرأى ما داخلنى ـ فقال: «يا أبان، أما تعلم أنّ الله قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟» قلت: بلى.

قال: «إذا أنت قاسمته فلم تؤثره، إنّما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الاخر»(١).

أقول: إنّ واقعنا المخجل لا يطمعنا أن نسمِّى أنفسنا بالمؤمنين حقاً، فنحن بواد وتعاليم أئمتنا (عليهم السلام) فى واد آخر، وما داخل نفس أبان يداخل نفس كل قارئ لهذا الحديث، فيصرف بوجهه متناسياً له كأنّ المخاطب غيره، ولا يحاسب نفسه حساب رجل مسؤول.

---

(١) مصادقة الاخوان: ٣٨.

ص:۰۰۰ ۱۶۳

الفصل الخامس

عقیدتنا فی:

البعث والمعاد

المعاد الجسمانی

ص:164

ص:165

۴۳ ـ عقیدتنا فی البعث والمعاد

نعتقد: أنّ الله تعالی یبعث الناس بعد الموت فی خلق جدید فی الیوم الموعود به عباده، فیثیب المطیعین، ویعذّب العاصین.

وهذا أمر على جملته وما عليه من البساطة فى العقيدة اتّفقت عليه الشرائع السماوية والفلاسفة، ولا محيص للمسلم من الاعتراف به عقيدة قرآنية جاء بها نبينا الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإنّ من يعتقد بالله اعتقاداً قاطعاً، ويعتقد كذلک بمحمّد رسولاً منه أرسله بالهدى ودين الحق، لابدّ أن يؤمن بما أخبر به القرآن الكريم من البعث، والثواب والعقاب، والجنة والنعيم، والنار والجحيم، وقد صرّح القرآن بذلک، ولمَّح إليه بما يقرب من ألف آية كريمة.

وإذا تطرَّق الشک فى ذلک إلى شخص فليس إلاّ لشک يخالجه فى صاحب الرسالة، أو وجود خالق الكائنات أو قدرته، بل ليس إلاّ لشک يعتريه فى أصل الاديان كلّها، وفى صحّة الشرائع جميعها.

٤٤ ـ عقيدتنا فى المعاد الجسمانى

وبعد هذا، فالمعاد الجسمانى ـ بالخصوص ـ ضرورة من ضروريات الدين الاسلامى، دلَّ صريح القرآن الكريم عليها: (أيَحسَبُ الانسانُ أنْ لَنْ نَجمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادرينَ عَلَى أن نُّسَوِّىَ بَنَانهُ) (١).

(وَإن تَعجب فَعَجَبٌ قَولُهُم أءذَا كُنّا تُراباً أءِنّا لَفى خَلق جَدِيد) (٢).

(أفَعَيينَا بالخَلقِ الاوَّلِ بَل هُم فى لَبس مِن خَلق جَدِيد) (٣).

وما المعاد الجسمانى ـ على إجماله ـ إلاّ إعادة الانسان فى يوم البعث والنشور ببدنه بعد الخراب، وإرجاعه إلى هيئته الاولى بعد أن يصبح رميماً.

ولا يجب الاعتقاد فى تفصيلات المعاد الجسمانى أكثر من هذه العقيدة على بساطتها التى نادى بها القرآن، وأكثر ممّا يتبعها من

---

(١) القيامة: ٣ ـ ٤.

(٢) الرعد: ٥.

(٣) ق: ١٥.

ص:167

الحساب والصراط، والميزان والجنة والنار، والثواب والعقاب، بمقدار ما جاءت به التفصيلات القرآنية.

(ولا تجب المعرفة على التحقيق التى لا يصلها إلاّ صاحب النظر الدقيق:

كالعلم بأنّ الابدان هل تعود بذواتها أو إنّما يعود ما يماثلها بهيئات؟

وأنّ الارواح هل تعدم كالاجساد أو تبقى مستمرّة حتى تتّصل بالابدان عند المعاد؟

وأنّ المعاد هل يختص بالانسان أو يجرى على كافّة ضروب الحيوان؟

وأنّ عودها بحكم الله دفعى أو تدريجى؟

وإذا لزم الاعتقاد بالجنة والنار لا تلزم معرفة وجودهما الان، ولا العلم بأنّهما فى السماء أو الارض، أو يختلفان.

وكذا إذا وجبت معرفة الميزان لاتجب معرفة أنّها ميزان معنوية، أو لها كفّتان.

ولا تلزم معرفة أنّ الصراط جسم دقيق، أو هو الاستقامة المعنوية.

ص:168

والغرض أنّه لا يشترط فى تحقيق الاسلام معرفة أنّها من الاجسام...)(١).

نعم، إنّ تلک العقيدة فی البعث والمعاد علی بساطتها هی التی جاء بها الدين الاسلامی، فإذا أراد الانسان أن يتجاوزها إلی تفصيلها بأكثر ممّا جاء فی القرآن ليقنع نفسه دفعاً للشبه ـ التی يثيرها الباحثون والمشككون بالتماس البرهان العقلی أو التجربة الحسية ـ فانّه إنّما يجنی علی نفسه، ويقع فی مشكلات ومنازعات لا نهاية لها.

وليس فی الدين ما يدعو إلی مثل هذه التفصيلات التی حشدت بها كتب المتكلّمين والمتفلسفين، ولا ضرورة دينية ولا اجتماعية ولا سياسية تدعو إلی أمثال هاتيک المشاحنات والمقالات المشحونة بها الكتب عبثاً، والتی استنفدت كثيراً من جهود المجادلين وأوقاتهم وتفكيرهم بلا فائدة.

والشبه والشكوک التی تثار حول تلک التفصيلات يكفی فی ردّها قناعتنا بقصور الانسان عن إدراک هذه الاُمور الغائبة عنّا،

---

(١) مقتبس من كتاب كشف الغطاء: ٥ للشيخ الكبير كاشف الغطاء.

والخارجة عن أفقنا ومحيط وجودنا، والمرتفعة فوق مستوانا الارضی، مع علمنا بأنّ الله تعالی العالم القادر أخبرنا عن تحقيق المعاد ووقوع البعث.

وعلوم الانسان وتجريباته وأبحاثه يستحيل أن تتناول شيئاً لايعرفه ولا يقع تحت تجربته واختباره إلاّ بعد موته وانتقاله من هذا العالم عالم الحس والتجربة والبحث، فكيف ينتظر منه أن يحكم باستقلال تفكيره وتجربته بنفی هذا الشیء أو إثباته؟ فضلاً عن أن يتناول تفاصيله وخصوصياته، إلاّ إذا اعتمد علی التكهّن والتخمين، أو علی الاستبعاد والاستغراب، كما هو من طبيعة خيال الانسان أن يستغرب كل ما لم يألفه ولم يتناوله علمه وحسّه، كالقائل المندفع بجهله لاستغراب البعث والمعاد (مَن يُحيی العِظَامَ وَهَیَ رَميمٌ) (١).

ولا سند لهذا الاستغراب إلاّ إنّه لم يرَ ميتاً رميماً قد اُعيدت له الحياة من جديد، ولكنّه ينسی هذا المستغرب كيف خلقت ذاته لاول مرة، ولقد كان عدماً، وأجزاء بدنه رميماً تألّفت من الارض وما حملت، ومن الفضاء وما حوی، من هنا وهنا، حتی صار بشراً

(١) يس: ٧٨.

سوياً ذا عقل وبيان، (أو لَم يَرَ الانسَانُ أنَّا خَلَقنَاهُ مِن نُطفَة فَإذَا هُو خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسى خَلقهُ) (١).

يقال لمثل هذا القائل الذى نسى خلق نفسه: (يُحييها الَّذى أنشَأهَا أوّلَ مَرَّة وَهُوَ بِكُلِّ خَلق عَليمٌ) (٢).

يقال له: إنّک بعد أن تعترف بخالق الكائنات وقدرته، وتعترف بالرسول وما أخبر به، مع قصور علمک حتى عن إدراک سرَّ خلق ذاتک وسر تكوينک، وكيف كان نموّک وانتقالک من نطفة لا شعور لها ولا إرادة ولا عقل إلى مراحل متصاعدة مؤتلفاً من ذرات متباعدة، لتبلغ بشراً سوياً عاقلاً مدبّراً ذا شعور وإحساس.

يقال له: بعد هذا كيف تستغرب أن تعود لک الحياة من جديد بعد أن تصبح رميماً، وأنت بذلک تحاول أن تتطاول إلى معرفة ما لا قِبل لتجاربک وعلومک بكشفه؟

يقال له: لا سبيل حينئذ إلاّ أن تذعن صاغراً للاعتراف بهذه الحقيقة التى أخبر عنها مدبّر الكائنات العالم القدير، وخالقک من العدم والرميم.

(١) يس: ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) يس: ٧٩.

وكلّ محاولة لكشف ما لا يمكن كشفه ولا يتناوله علمک، فهی محاولة باطله، وضرب فی التیه، وفتح للعیون فی الظلام الحالک.

إنّ الانسان مع ما بلغ من معرفة فی هذه السنین الاخیرة، فاکتشف الکهرباء والرادار واستخدم الذرّة، إلی أمثال هذه الاکتشافات التی لوحدِّث عنها فی السنین الخوالی لعدَّها من أوّل المستحیلات، ومن مواضع التندّر والسخریة.

إنّه مع کل ذلک لم یستطع کشف حقیقة الکهرباء ولا سر الذرّة، بل حتی حقیقة إحدی خواصهما وأحد أوصافهما، فکیف یطمع أن یعرف سر الخلقة والتکوین، ثم یترقّی فیرید أن یعرف سرَّ المعاد والبعث؟!.

نعم، ینبغی للانسان بعد الایمان بالاسلام أن یتجنَّب عن متابعة الهوی، وأن یشتغل فیما یصلح أمر آخرته ودنیاه، وفیما یرفع قدره عند الله، وأن یتفکِّر فیما یستعین به علی نفسه، وفیما یستقبله بعد الموت من شدائد القبر والحساب بعد الحضور بین یدی الملک العلاّم، وأن یتّقی (یوماً لاتَجزی نَفسٌ عَن نَفس شَیئاً وَلا یُقبَلُ مِنها شَفَاعَةٌ وَلا یُؤخَذُ مِنها عَدلٌ ولا هُم یُنصَرونَ) (۱).

---

(۱) البقرة: ۴۸.

التعریف بمرکز الابحاث العقائدیة

«تأسیس المرکز»

أسس مرکز الابحاث العقائدیة فی عام ۱۴۱۹ هـ لنشر مذهب أهل البیت (علیهم السلام) فی العالم ودفع الشبهات عنه، ولیعمل علی محور العقائد وأهم المسائل الخلافیة، ولهذا المرکز عدة أقسام نشیر إلی بعضها:

«الموقع علی الانترنت»

للمرکز خمسة مواقع علی الانترنت:

۱ ـ موقع المرکز، یحوی: التعریف بالمرکز، إصدارات المرکز، الاجابة علی الاسئلة العقائدیة، سجل الزوار، مدیر المرکز، البوم الصور، صفحات شخصیة (www.aqaed.com ,net ,org).

۲ ـ موقع المکتبة العقائدیة، فیه: نص الکتب العقائدیة، وکتب ردّ الشبهات، ومؤلفات المستبصرین، والکتب المؤلفة فی الردّ علی الخط السلفی، وأهم المناظرات (www.shialib.com).

۳ ـ موقع المستبصرین، یحوی: مؤلفات المستبصرین، وحیاتهم، ومحاضراتهم الصوتیة والمرئیة، وصفحات شخصیة لهم (www.mostabser.com).

٤ ـ موقع الشيعة والتشيع، الذى فيه: معلومات عن الشيعة فى العالم، من ناحية آخر الاحصائيات، والتعريف بهم وبمزاراتهم ومؤسساتهم ومساجدهم وحسينياتهم ومواقعهم على الانترنت (www.theshia.com).

٥ ـ موقع الندوات العقائدية، الذى يحوى: الندوات التى عقدت فى المركز، وذلک على شكل التسجيل الصوتى والمرئى، ونص الندوات كتابة (www.alnadawat.com).

«المستبصرون»

تم لحد الان التعرّف على أكثر من (٨٠٠٠) آلاف مستبصر فى أكثر من (٧٠ دولة) من أديان ومذاهب مختلفة، وخصص لهم المركز سلسلة الرحلة إلى الثقلين لطباعة مؤلفاتهم، حيث تم طباعة بعضها، والعشرات منها فى طريقها إلى الطبع، كما وقام المركز بإعداد برنامج «المستبصرون يتحدثون معكم» يحوى على مئات الاشرطة الصوتية والمرئية و cd تحدثوا فيها عن أسباب الاستبصار، كما وقام المركز بإعداد موسوعة عن حياة المستبصرين من القرن الاول إلى القرن الخامس عشر، ونظم المركز عشرات المحاضرات للمستبصرين تكلموا فيها عن أسباب

استبصارهم، وقام المركز بإعداد برنامج cd المستبصرين يحوى حياة أكثر من (١٠٠٠) مستبصر وجميع مؤلفاتهم و (١٠٠) ساعة لمحاضرات المستبصرين والشيعة فى العالم.

«ردّ الشبهات»

بعد أن جمع المركز كتب الشبهات والاشرطة الصوتية والمرئية وأقراص cd التى تهاجم مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، شرع بتنظيم أجوبة شافية على شكل كتب وأبحاث وأشرطة صوتية ومرئية مرتبة حسب المواضيع مع استقصاء شامل لموارد الشبهة والبحث عن منشأ الشبهة والسير التاريخى لها.

«الموسوعة العقائدية»

شرع المركز بإعداد المقدمات لتنظيم الموسوعة العقائدية، التى تحوى المسائل الكلامية والعقائدية وأهم المسائل الخلافية وما طرح جديداً من العلوم الحديثة، مرتبة على الحروف الالف بائية، كل ذلک بحثاً موضوعياً مستقصياً فيه آراءأهم المدارس الكلامية.

«الشيعة فى العالم»

يقوم المركز بإعداد موسوعة عن الشيعة فى العالم، ستصدر فى عدة مجلدات، تحوى معلومات وافية عن الشيعة فى العالم من

ناحية آخر الاحصائيات ونشاطاتهم ومؤسساتهم العلمية ومساجدهم ومجمعاتهم الدينية وحركة الاستبصار، بالاضافة إلى المعلومات العامة عن كل دولة من ناحية الاحصاءات الدينية والمذهبية، وبذلک نعطى صورة واضحة عن كل دولة يستفيد منها الجميع.

«الندوات العقائدية»

عقد المركز عشرات الندوات العقائدية اشترک فيها أساتذة الحوزة العلمية طرحت فيها أهم المسائل العقائدية والخلافية، يعقب الندوات حوار مفتوح، كما وبثت هذه الندوات مباشرة على الانترنت وطبعت على شكل كراسات صغيرة، وهى محفوظة على الاشرطة الصوتية والمرئية وأقراص cd.

«متابعة القنوات الفضائية»

للمركز قسم خاص يتابع القنوات الفضائية باللغة العربية، لينتقى منها ما يبث حول مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ومن ثم كتابتها وإصدارها فى نشرة شهرية تحت عنوان: (مطارحات فكرية فى القنوات الفضائية) توضع باختيار العلماء والباحثين ليكونوا على علم بما يطرح فى العالم حول المذهب الحق.

ص:176

«المكتبة العقائدية»

للمركز مكتبة مختصة تحوى الكتب العقائدية والكلامية والردود والشبهات لكل المذاهب الاسلامية، تحوى المكتبة (١٨٠٠٠) ألف كتاب، كما وفى المكتبة قسم خاص يحوى اسطوانات cd الكتب والعلوم الاسلامية، وتعتبر مكتبة نموذجية فى مدينة قم المقدسة.

«إرسال الكتب»

يرسل المركز أهم الكتب العقائدية وردّ الشبهات والكتب التى تعرف مذهب أهل البيت (عليهم السلام) إلى المستبصرين والنشطين فى التبليغ والمشتركين، ويتم الارسال بصورة مدروسة إلى (٩٢) دولة، وأرسل المركز عشرات الاف الكتب إلى شتى أنحاء العالم وبصورة مجانية.

«الاعمال القادمة للمركز»

١ ـ تأسيس «معهد مركز الابحاث العقائدية» الذى يهتم بتدريس الابحاث الكلامية والعقائدية وتربية نخبة عقائدية لتأمين المستقبل والوقوف أمام الشبهات.

٢ ـ إصدار مجلة «الشيعة» التى تحوى التعريف بالشيعة

والتشيع فى شتى المجالات، بالاخص العقيدة ودرء الشبهات.